Arap Atasözlerine dair "*Mecmaʿu'l-Emsâl*" ve "*El-Mustaksâ Fî Emsâli'l-Arab*" İsimli Eserlerin Karşılaştırılması

Ahmet ONUR

Doktora Öğrencisi Cumhuriyet Üniversitesi
Edebiyat Fakültesi
Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü
kharibah85@gmail.com
https://orcid.org/0000-0003-4013-134X

ÖZ

Araştırmamızda İslam öncesi dönemden günümüze kadar devam eden ve Arap Edebiyatında önemli bir sanatsal olgu olan Arap meselleri ele aldık. Mesellerin yapısı, onu sanat ve günlük söylem arasında bir bağlantı haline getirmiştir, hem şiirde hem de nesirde Câhiliyet döneminden beri kullanıle gelmiştir. Meseller sadece şairler, bilge adamlar, hatîpler veya diğerlere mahsus olmayıp, tüm insanların arasındaki günlük iletişimin ürünüdür diyebiliriz.

Bu çalışmamızda, Arapçadaki eski meselleri ele alan, en meşhur ve kapsamlı kaynaklar olan el-Meydânî'nin (Mecmaʿu'l-Emsâl) isimli eseri ile Zemahşerî'nin (el-Mustaksâ Fî Emsâli'l-Arab) isimli eserinin arasında karşılatırma yaptık. Bu karşılaştırmalı araştırmamızı yaparken söz konusu iki kitabın atasözlerini hangi yöntemle ele aldıklarını inceledik. Kaynaklara bakınca söz konusu kaynaklar hakkında aşağıdaki düşünceleri dile getirebiliriz: Her birinin yazım tarihini inceleyerek, hangisi daha önce yazıldığı konusunda bilgi veridik. Her iki eserin de hangi kaynakları kullandığı, farklı olan tertip yöntemi bu konuda Mecmaʿu'l-Emsâl, alfabetik sıraya göre tertip edildiği bâbların içinde düzensizce kaleme alınır. Fakat el-Mustaksâ, hem bâblar hem de meseller alfabetik sıraya göre düzenli bir şekilde toplanıp aranan mesele ulaştırmayı kolaylaştırır. Aynı zamanda kendine belirttiği tertip yöntemi bazı yerlerde dikkate almadıklarından dolayı bu iki eserin tertibine aldığımız bazı notları kaydedilmiştir. Bundan sonra Zemahşerî'nin özetlemeye dayanmasının, bazı yerlerde hikâye irtibatını ve şerh açıklığını etkilemesi hakkında örnekler verilerek şerh açıklığı ve meselin hikâyesini sunmasından bahsedilmiştir. Sonunda muvelled meselleri ele alınıp el-Meydânî'nin geniş bir şekilde ilgilendiği ve Zemahşerî'nin bazı muvelled mesellerini zikretmesine rağmen açıkça ona işaret etmediği belirtilmiştir.

Anahtar Kelimeler: *Mesel, Kaynak, Tertip, Hikâye, Muvelled.*

DOI: 10.17932/IAU.ARAP.2019.020/ayad_v03i1005

A Study In Arab Proverbs; Comparison Between (Majma' Al-Amthal) And (Al-Mustaqsa Fi Amsali Al-Arab)

ABSTRACT

The research deals with an artistic phenomenon in Arabic literature, which is proverbs that we find in the arts of poetry and prose. Proverbs are distinguished as a link between art and daily discourse. It is art as an important literary phenomenon. At the same time, it is the product of daily communication between all classes of the people without being singled out for saying it by any class, such as poets, sages, preachers, or others.

The research aims to compare two books that are the most famous and broadest ancient Arabic proverbs. They are (Majma' Al-Amthal) for al-Maydani and (Al-Mustaqsa fi Amsali al-Arab) by al-Zamakhshari . In order to achieve this, the comparison between them proceeds from stopping at the date of their formation and stating which of them is earlier, We also talked about the sources of proverbs in both books, and we talked about treating the arrangement method, which differs slightly between them. Whereas al-Midān depends on dividing the book into chapters arranged according to the alphabet without arranging proverbs according to the sequence of letters within each chapter; Al-Zamakhshari classifies his book according to the alphabet in the chapters and chapters; So that it is easier to reach the proverb in his book than it is in (the collection of proverbs), as we explained through that some shortcomings on the way in the arrangement in the two books, but these shortcomings do not diminish the importance of the two books which are the most extensive books of ancient Arabic proverbs.

Keyword: *Proverbs, Source, Arrangement, Presentation, Narration, Generated.*

دراسة في الأمثال العربيّة
مقارنةٌ بين (مَجْمَعُ الأَمْثَالِ) و(المُسْتَقْصَى في أَمْثَالِ الْعَرَبِ)

أحمد أونور

الملخَّص

يتناول البحث ظاهرة فنّيّة في الأدب العربيّ، وهي الأمثال التي نجدها في فني الشعر والنثر. وتتميز الأمثال بأنها حلقةُ اتّصالٍ بين الفنّ والخِطَاب اليوميّ؛ فهي فنٌّ باعتبارها ظاهرة أدبيّة مهمّة. وهي في الوقت نفسه نتاج التخاطب اليوميّ بين جميع فئات الشعب دون أنْ تختصَّ بقولها طبقة ما كالشعراء أو الحكماء أو الخطباء أو غيرهم.

يَعمِد البحث إلى المقارنة بين كتابين هما أشهر كتب الأمثال العربيّة القديمة وأوسعها؛ وهما (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ) للمَيْدَانِيّ و(المُسْتَقْصَى في أَمْثَالِ الْعَرَبِ) للزَّمَخْشَرِيّ؛ وفي سبيل ذلك تنطلق المقارنة بينهما بالوقوف عند تاريخ تأليف كلّ منهما وبيان أيّهما الأسبق في التأليف، وكذلك الحديث عن مصادر الأمثال في كلا الكتابين، ومعالجة طريقة الترتيب التي تختلف قليلًا فيما بينهما؛ ففي حين يعتمد المَيْدَانِيّ على تقسيم الكتاب إلى أبواب مرتّبةٍ بحسب الحروف الهجائيّة دون ترتيب الأمثال بحسب توالي الحروف ضمن كلّ باب؛ فإنّ الزَّمَخْشَرِيّ يُصنِّف كتابه وَفْقَ الحروف الهجائيّة في الأبواب والفصول، ومن ثَمّ تمّت المقارنة في طريقة عرض الحكاية ومعالجة تفسير الأمثال فيهما مع تقديم أمثلة تُبيّن جناية الاختصار على وضوح المعنى في بعض المواضع، وأخيرًا وقفنا عند الأمثال المُوَلَّدة وبيان أهمّيتها في كتاب المَيْدَانِيّ حيث أفرد لها المؤلّف مكانًا خاصًّا في آخر كلّ باب، في حين تتبَّعنا بعضها في كتاب الزَّمَخْشَرِيّ الذي لم يُشِرْ إليها إشارة صريحة.

الكلمات المفتاحيّة: المَثَل، مصدر، ترتيب، حكاية، مُوَلَّد.

مدخل:

تُعَدّ الأمثال حلقة الاتّصال بين الفنّ ولغة الخِطاب اليوميّ؛ إذ هي ليست صادرة بشكل كلّيّ عن طبقة الحكماء أو الشعراء أو الخطباء أو الكُتّاب أو غيرهم من الخواصّ المشتغلين في ميادين العلم والفنّ والأدب على الرَّغْم من أنّها من الأشكال الفنّيّة النثريّة. بل يُمكن أنْ يكونَ صاحبها إنسانًا من عوامّ الناس لا يُؤبَه له ولا يَعُدّ نفسه من أهل الحكمة والبيان. وبذلك فإنّ الأمثال هي لُمَعٌ فنّيّة وعبارات سامية تُنتِجها غالبًا حوادثُ تُحفِّز عليها، فتخرج بأسلوب جَزْلٍ سهلٍ في آنٍ ممّا يضمن لها الذُّيوع بين فئات الناس كلّها.

وعلى الرَّغْم من صدور الأمثال غالبًا عن العوامّ أو مَنْ لا يُعرَفون وأحيانًا عن حكماء أو شعراء أو مشهورين بأعيانهم فإنّ المثل يقترن بالحكمة في كثير من المصادر العربيّة وفي عناوين الكتب المختصّة في موضوعه أيضًا. بل قد جعل أبو عُبَيْدٍ القاسم بن سَلَّامٍ الأمثال «هي حكمة العرب في الجاهليّة والإسلام» (ابن سلَّام، 1980: 34). ولكنْ تبقى على كلّ حال ثَمَّ فروقٌ بين المثل والحكمة، لعلّ أهمّها أنّ المثل يصدر غالبًا عن تجربة حسيّة، وأمّا الحكمة فتنشأ عن علم ومعرفة. والمثل يصدر عن أيّ إنسانٍ من فئات الشعب في حين لا تصدر الحكمة إلا عن حكيمٍ

فَطِنٍ ذي خبرةٍ في الحياة. ويبقى للمثل مزيّة الذيوع والانتشار بين الناس في حين قد لا تنتشر الحكمة مثله، وحينما تشيع الحكمة تُصبح مثلًا؛ فالمثل في بعض صوره هو حكمة سائرة. كما أنّ في المثل جانبًا تصويريًّا مهمًّا، في حين يُشكّل الجانب الوعظيّ التعليميّ أهمّ أركان الحكمة[1].

وقد بدأ التأليف في الأمثال عند العرب منذ أواسط القرن الأوّل للهجرة، فألّف فيها كلٌّ من صُحار العَبْديّ(ت نحو 40ه) وعُبَيْد بن شَرِيَّة(ت نحو 67ه)؛ أمّا في القرن الثاني فنجد مثلًا مؤلَّفات المُفَضَّلِ بْنِ محمد الضَّبِّيّ(ت170ه) ويونس بن حَبِيْب (ت183ه) وأبي فَيْدٍ مُؤَرِّج السَّدُوْسِيّ (ت195ه) والأَصْمَعِيّ (ت217ه) وغيرهم. ولسنا هنا في معرِض الحديث عن مؤلّفات الأمثال، فهي كثيرة، وإنّما نذكر ثلاثة من أهمّ هذه الكتب المطبوعة قبل الانتقال إلى المقارنة بين أضخم كتابين؛ وهما (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ) و(المُسْتَقْصَى في أَمْثَالِ الْعَرَبِ):

1. كتاب الأمثال: مؤلّفه هو أبو عُبَيدٍ القاسمُ بن سلَّامٍ(ت217ه)، إمام في علوم القرآن وعلوم الحديث واللغة والشعر. له مصنّفات كثيرة أشهرها كتاب الأمثال هذا، وغريب الحديث، والغريب المُصَنَّف.

وقد صنّف هذا الكتاب بحسب الموضوعات؛ فجعله 270 بابًا ضمّنها 1386 مثلًا. وقدّم لها شرحًا يُبيِّن أصولها ومواردها والأحوال التي تُضرَب بها مع تفسير غريبها والاستشهاد لها.

2. الدُّرَّة الفاخرة في الأمثال السائرة: مؤلّفه حمزة بن الحسن الأَصْبَهانيّ(ت962/351)، وهو خاصٌّ بالأمثال التي تبدأ على وزن (أفعل من)، جعله في 30 بابًا، وقد ذكر في الباب التاسع والعشرين أكثر من 500 مثلٍ مُوَلَّد، في حين احتوت الأبواب الثمانية والعشرون الأولى 1300 مثلٍ قديمٍ فصيح[2].

3. جمهرة الأمثال: مؤلّفه أبو هلالٍ العسكريّ (ت نحو 1009/400). ذكر أنّه اقتصر فيه على الأمثال الفصيحة القديمة دون المُوَلَّدة (العَسكريّ، 1988: 6/1). جعله في 29 بابًا تضمّ حوالي 3000 مثل، منها 800 مثل على وزن (أفعل)، وقد شرح المؤلف 1972 مثلًا.

بين (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ) و(المُسْتَقْصَى فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ):

هذان الكتابان هما أهمّ كتب الأمثال العربيّة القديمة، وقد أُلِّفا في عصر واحد؛ فمؤلّف الأوّل هو أبو الفضل أحمد بن محمد النَّيْسابُوريُّ المَيْدَانِيُّ[3] المُتَوفَّى سنة 1124/518. ومؤلّف المُسْتَقْصَى هو أبو القاسمِ جار الله محمود بن عمر الخُوارَزْمِيُّ الزَّمَخْشَرِيُّ[4] المُتَوفَّى سنة 1144/538. وأهمِّيَّة الكتابين تأتي من كونهما أوسعَ كتب الأمثال القديمة؛ إذ استفاد كلّ منهما ممّا أُلِّف قبله في تصنيف كتابه. وسوف نُقارن بين الكتابين في الأمور الآتية:

---

1 للوقوف على مزيد من الفروق القائمة بين المثل والحكمة يُنْظَرُ: قطامش، 1988/1408: 16-20.

2 صدرت الطبعة الأولى له باسم (الدُّرَّةُ الفَاخِرَة فِي الأَمْثَالِ السَّائِرَة) بتحقيق: عبد المجيد قطامش، نشرتها دار المعارف في القاهرة في جزأين؛ الأوّل عام 1971م والثاني عام1972م. وقد صدر الكتاب أيضاً باسم (سَوَائِرُ الأَمْثَالِ عَلَى أَفْعَلَ) بتحقيق: فهمي سعد، نشره عالم الكتب في بيروت عام 1988/1409م. والطبعتان هما اسم لكتاب واحد. ولكن في أُولاهما يُشرَح من الأمثال 719 مثلًا، وفي أُخراهما 655 مثلًا.

3 النَّيْسابُوْرِيّ نسبةً إلى مدينة نَيْسابُور، والمَيْدَانِيّ نسبةً إلى ميدان زياد بن عبد الرحمن، وهي مَحِلَّةٌ في نَيْسَابور. تُنْظَرُ ترجمته وأخباره في: ابن خَلِّكان، 1968: 148/1. الحَمَويّ، 1993: 511/2-513. السُّيُوطِيّ، 1964: 356/1-357. القِفْطِيّ، 1986: 156/1-159.

4 الخُوارَزْمِيّ نسبةً إلى منطقة خُوارَزْم، والزَّمَخْشَرِيّ نسبةً إلى قريةٍ من قراها تُسمَّى زَمَخْشَر. تُنْظَرُ ترجمته وأخباره في: ابن خَلِّكان، 1968: 168/5-174. الحَمَويّ، 1993: 2687/6-2691. السُّيُوطِيّ، 1964: 279/2-280. القِفْطِيّ، 1986: 265/3-272.

تتّفق المصادر في أنّ ولادته كانت سنة 467ه، وأنّ وفاته سنة (538ه)، ما عدا كتاب (بُغْيَةِ الوُعَاةِ)، فيذكر أنّ ولادته سنة 497ه. كما تتّفق المصادر في اسمه واسم أبيه. ولكنّ (مُعْجَمَ الأُدَبَاءِ) يذكر أنّ اسم جدّه (أحمد)، في حين تذكر المصادر الأخرى أنّه (محمد). كذلك تختلف المصادر في اسم جدّ أبيه؛ فهو (عمر) في (إِنْبَاهِ الرُّوَاةِ)، و(وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ)، في حين هو (أحمد) في (بُغْيَةِ الوُعَاةِ). أمّا (مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ) فلا يذكر جدّ أبيه.

تاريخ التأليف

عاش مؤلّفا الكتابين في عصر واحد تقريبًا، وكان بين وفاتيهما 20 سنة؛ فقد تُوُفِّي المَيْدَانيّ سنة 518 ه، وتُوُفِّي الزَّمَخْشَريّ سنة 538ه. أمّا الولادة فليس ثَمَّ تاريخ محدّد لولادة المَيْدَانِيّ، غير أنّ القِفْطيَّ في (إِنْبَاهِ الرُّوَاةِ) يذكر مَقْدَمَ أَبي الحَسَنِ عَلِيّ بنِ فَضَّالِ المُجَاشِعِيّ القَيْرَوَانِيّ المُفَسِّر على نَيْسابورَ سنة 470ه وأنّ المَيْدَانِيّ كتب عنه وقتذاك (القِفْطيّ، 1986: 156/1)؛ أي أخذ عنه العلم وكتب ممّا سمع منه في دروسه؛ وهذا يعني أنّ المَيْدَانِيّ كان لا يزال يطلب العلم في ذلك التاريخ. ومن ذلك نستنتج أنّ ولادته ربّما كانت قريبة من 450ه. وأمّا ولادة الزَّمَخْشَريّ فتُحدّدها أغلب المصادر بسنة 467ه كما رأينا. وفي هذه الفترة التي تشمل حياة المؤلّفين، أي الممتدّة تقريبًا بين عامي 450-538ه، كانت السُّلطة الفعليّة في عاصمة الخلافة العبّاسيّة وفي خراسان بيد السَّلاجقة.

ومتابعة الحالة السياسيّة في هذه المرحلة تُؤكّد لنا وجود قلاقلَ مختلفةٍ واضطراباتٍ مستمرّة. غير أنّنا نرى أيضًا حركة علميّة وأدبيّة نشطة في الوقت نفسه يُشارك فيها بعض الوجهاء والمتنفِّذين. وفي مُقدِّمة (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ) يذكر المَيْدَانيّ أنّ «الشيخ العميد الأجلّ السيّد العالِم ضياء الدولة مُنتخَب المُلْك شمس الْحَضْرة صفيُّ الملوك أبو علي محمد بن أرسلان» الذي يظلّ المَيْدَانِيّ يصفه في أكثر من صفحة في مُقَدِّمَة كتابه بأوصاف جليلة رفيعة ويُصبغ عليه كثيرًا من حلل الأدب وجميل الكلام معربًا عن فضله الكبير في رعاية الأدباء والعلماء؛ أنّه هو الذي «أشار بجَمْع كتابٍ في الأمثال، مُبَرِّزٍ على ما له من الأمثال، مُشتَمِلٍ على غَثِّها وسَمِينها، مُحْتَوٍ على جاهليّها وإسلاميّها» (المَيْدَانِيُّ، 1955: 3/1 و4).

وأبو عليّ الذي يُطريه المَيْدَانيّ هو كما ورد في (التَّحْبِيْرِ فِي المُعْجَمِ الكَبِيْرِ): «أحد أركان المُلْك، وممّن تقدّم وحَظِيَ عند السلطان سَنْجَر بن ملكشاه وارتفعت درجته حتى ترشّح للوزارة، وكان فاضلًا وقورًا، حسن النظم، والنثر» (السَّمْعَانِيُّ، 1975: 2/99-100)[1].

وإذًا فأبو عليّ محمد بن أرسلان هو صاحب الفضل في توجيه أنظار المَيْدَانيّ المعروف بتقدُّمه في مجال الأدب واللغة ليُصنّف هذا المَجْمَعَ الذي احتوى أكثر ما ورد من أمثالٍ في المصنّفات قبله. ولكن ليس ثمّة تحديد دقيق لتاريخ كتابة (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ)، وإنّما سنُحاول استنتاج ذلك ممّا تُخبِرنا به المصادر.

نجد في المصادر التي تُتَرْجِم للمَيْدَانِيّ والزَّمَخْشَرِيّ فكاهة جرت بينهما بعد أنْ رأى الزَّمَخْشَرِيّ كتاب المَيْدَانِيّ (مَجْمَعَ الْأَمْثَالِ)؛ فيُقال إنّ الزَّمَخْشَرِيّ حسده على جَوْدة تصنيفه، فأخذ القلم وزاد على اسم المَيْدَانِيّ حرفَ نونٍ قبل الميم، فصار (النُّمَيْدَانِيّ)؛ أي الذي لا يعرف شيئًا. ثمّ إنّ المَيْدَانِيّ رأى ذلك فشقّ عليه، فأخذ بعض كتب الزَّمَخْشَرِيّ، فغيّر الميم من الزَّمَخْشَرِيّ بالنون، فصار (الزنخشري)، ومعناه بالفارسيّة كما تذكر المصادر التي تروي الحادثة هو: بائع زوجته (الحَمْويّ، 1993: 512/2. السُّيُوطِيّ، 1964: 357/1. القِفْطيّ، 1986: 158/1). وينقل حاجي خليفة أنّ التّنْكِيت هو من (زن خشري) التي تصبح بمعنى (المرأة غير الجيّدة).

1 يُنْظَرُ عنه للمزيد: الحَمْويّ، 1993: 1960/5.

ونحن نظنّ أنّ هذه الفكاهة غير حقيقيّة، وإنّما رُوِيَتْ للتندّر؛ فلم نجد كلمة (الزَّنَخْشَـرِيّ) في المعاجم الفارسيّة، كما أنّ أبا البركات ابن الأنباريّ يُعلّق على هذا الخبر بقوله: «وهذه فكاهة لا تليق بالمشايخ» (حاجي خليفة، د.ت: 1598/2).

ويُحكى أنّ الزَّمَخْشَـرِيّ رأى كتاب المَيْدَانِيّ بعد ما ألّف المُسْـتَقْصَـى. فأعجبه جدًّا، وندم على تأليفه كتابه؛ لكونه دون (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ) في حسن التأليف، والوضع، وبسط العبارة، وكثرة الفوائد (حاجي خليفة، د.ت: 1598/2).

وظاهر الخبر يدفع إلى الظنّ أنّ المَيْدَانِيّ قد ألّف مَجْمَعَه قبل المُسْـتَقْصَـى، ولكنّنا نجد في مُقدِّمة المَيْدَانِيّ ما يدفع هذا الظنّ أيضًـا؛ فيُفهَم من المُقدِّمة أنّه ألّفه بعد مرحلة الشـباب بعد أنْ دَهَمَه الشيب وضَـعُفَتْ قواه (المَيْدَانِيُّ، 1955: 5/1). ولمّا كانت وفاته سنة 518ه وولادته على أغلب الظّنّ قريبة من 450ه كما أسلفنا فإنّنا نظنّ أنّ تأليفه المَجْمَعَ كان بعد أنْ بلغ الخمسين من عمره على أقلّ تقدير؛ أي كان بعد 500ه أو قريبًا من وفاته. ويُؤيِّد ذلك أنّ أبا عليّ محمد بن أرسـلان الذي أشـار على المَيْدَانيّ بتأليف كتاب في الأمثال قد ارتقت منزلته عند سَـنْجر بن ملكشـاه الذي حكم منذ 513ه، وقد ترجم الذهبيّ لمحمد بن أرسـلان ضـمن وَفَيَات سـنة 536ه، تُوُفِّي وله من العمر نّيِّف وأربعون سـنة (الذَّهَبِيّ، 2003: 11/657-658)، وعلى ذلك فولادته على أكبر تقدير لن تكون قبل 493ه؛ لأنّ النَّيِّف في العربيّة هو ما زاد على العقد من واحد إلى ثلاثة، فإذا قدّرنا عمره 43 سـنة عند وفاته التي كانت عام 536 فسـتكون ولادته 493ه. ومن ثَمّ فمهما علا شـأنه فلن يعلو قبل أنْ يبلغ من العمر 20 سـنة أو أكثر؛ أي في أواخر حياة المَيْدَانيّ، ولذلك نُرجِّح أنّ تأليف (مَجْمَعِ الأَمْثَالِ) كان قريبًا من وفاة صـاحبه بما لا يزيد على خمس سنوات؛ أي كان تأليفه بعد عام 513ه. وبحسب ذلك يكون الزَّمَخْشَرِيّ هو الذي ألّف كتابه قبل؛ لأنَّ الزَّمَخْشَـرِيّ قد انتهى من تصـنيف كتابه عام 499ه (حاجي خليفة، د.ت: 1675/2)؛ إذ لو سـبقه المَيْدَانيّ بتأليف كتابه ولو اطّلع عليه الزَّمَخْشَـرِيّ لكان اسـتفاد من منهجه ووسّـع كتابه المُسْـتَقْصَـى أكثر، ففي حين يحتوي (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ) على 6080 مثل تقريبًا[1] فإنّ المُسْـتَقْصَـى يحتوي على 3461 مثل فقط. كما أنّه لا ذِكْرَ لكتاب المَيْدَانِيّ في مُقدِّمة المُسْـتَقْصَـى، فلو أنّ الزَّمَخْشَرِيّ رأى كتاب المَيْدَانيّ لربّما قارن بينهما وبيَّن لماذا يُصنِّف كتابًا جديدًا في الموضوع نفسه وفي العصر نفسه ما دام لن يكون بشمول المَجْمَعِ واتّساعه. وعلى كلّ حالٍ فليس كتاب الزَّمَخْشَـرِيّ من ضـمن مصـادر المَيْدَانِيّ أيضًـا، فلا شـكّ أنّ اعتماد الكتب آنذاك على النسـخ اليدويّ كان يُؤخِّر انتشارها على الرّغم من أنّ المَيْدَانِيّ والزَّمَخْشَرِيّ من إقليم واحد هو خراسان الذي كانت تتبع إليه مدينتاهما نَيْسَابُوْرُ وخُوارَزْمُ.

مصادر الأمثال

ذكر المَيْدَانِيّ في مُقدِّمة كتابه مصـادره التي أخذ عنها الأمثال، في حين لم يرد شـيء عن المصادر في مُقدِّمة الزَّمَخْشَرِيّ، وإنّما يذكر أحيانًا ضمن شروح الأمثال بعض مَنْ عُرِف بتأليفه في الأمثال أو غير ذلك من العلماء ممّا سنُبيّنه بعد قليل.

1 ليس ثمّة عدد محدّد دقيق لأمثاله؛ إذ ذكر المَيْدَانيّ في مُقدّمته أنّه يحتوي 6 آلاف مَثَلٍ ونَيِّفًا دون ذكر عدد معيّن. وسـوف نُوضّـح ذلك عند الكلام على طريقة الترتيب.

ولا شــكّ أنّ الأمانة العلميّة في البحث تقتضــي ذكر المصــادر؛ ممّا يجعل عمل المَيْدَانِيّ أقرب إلى الدقّة والموضـوعيّة وعدم بخس المتقدِّمين حقَّهم وفضـلَهم في تمهيد طريق التصـنيف في الأمثال التي لم يتعب المتأخِّرون في جمعها من أفواه قائليها، وإنّما أخذوها عن تلك الكتب التي سبقتهم.

وفي معرض ذكر المصــادر فقد صــرح المَيْدَانِيّ في مُقدِّمته بذكر اثني عشــر عالِمًا أخذ عنهم أمثاله، كما ذكر أنّه قد عاد إلى خمســين كتابًا في الأمثال فاختار منها مادّة كتابه المَجْمَع. ويَعمِد المَيْدَانِيّ إلى الســجع حين يذكر العلماء الاثني عشــر الذين أخذ عنهم، فيقول: « فطالعتُ من كتب الأئمّة الأعلام، ما امتدّ في تقصِّــيه نَفَسُ الأيام، مثل كتاب أبي عُبَيدةَ وأبي عُبَيد، والأَصْـمَعِيّ وأبي زَيْد، وأبي عَمْرٍو وأبي فَيْد، ونظرتُ فيما جمعه المُفَضَّـلُ بن محمد والمُفَضَّـلُ بن سَـلَمَةَ. حتى لقد تصـفّحت أَكْثَرَ من خمسـين كتابًا، ونَخَلْتُ ما فيها فصـلًا فصـلًا وبابًا بابًا... ونقلتُ ما في كتاب حمزة بن الحســن إلى هذا الكتاب، إلّا ما ذكره من خَرَزَات الرُّقَى وخُرَافات الأَعْرَاب، والأمثال المُزْدَوِجة لاندماجها في تضـاعيف الأبواب» (المَيْدَانِيُّ، 1955: 4/1). ومن المُسْتَحْسَن أنْ نُفصِّل أسماء هؤلاء العلماء الذين ذكرهم المَيْدَانِيّ ونُرتِّبهم بحسب وَفَيَاتهم:

1. عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ الجُرْهُمِيّ ت نحو 67ه. كتابه مفقود.
2. الشَّرْقِيُّ بْنُ القُطَامِيِّ ت 158ه، كتابه مفقود.
3. أبو عَمْرِو بْنُ العَلاء ت بين 154-159ه. كتابه مفقود.
4. المُفَضَّلُ بن محمد الضَّبِّيّ ت نحو 171ه. كتابه مطبوع باسم (أَمْثَالِ الْعَرَبِ).
5. أبو فَيْدٍ مُؤَرِّجُ بْنُ عَمْرٍو السَّدُوْسِيّ ت 195ه. كتابه مطبوع باسم (كِتَابُ الأَمْثَالِ).
6. أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى ت نحو 210ه. كتابه مفقود[1].
7. أبو زَيْدٍ الأَنْصَارِيّ سَعِيْدُ بْنُ أَوْسٍ ت 215ه. كتابه مفقود.
8. الأَصْمَعِيُّ أبو سَعِيْدٍ عبدُ الملكِ بنُ قُرَيْب ت نحو 216ه. كتابه مفقود.
9. أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ت 224ه. كتابه مطبوع باسم (كِتَابُ الأَمْثَالِ).
10. المُفَضَّــلُ بنُ سَــلَمَةَ بنُ عَاصِــمٍ الضَّــبِّيّ ت 291ه. كتابه مطبوع باســم (الفَاخِرُ فِي الأَمْثَالِ).
11. حَمزةُ بنُ الحَسَنِ الأَصْبَهَانِيُّ ت 351ه. كتابه مطبوع باسم (الدُّرَّةُ الفَاخِرَة فِي الأَمْثَالِ السَّائِرَة)، وله طبعة باسم (سَوَائِرُ الأَمْثَالِ عَلَى أَفْعَلَ) كما ذكرنا قبلُ.
12. عَطَاءُ بْنُ مُصْعَب[2]، كتابه مفقود.

وقد قام عبد الرحمن التَّكْرِيْتِيُّ بإحصاء مصادر المَيْدَانِيّ، وكتب عن ذلك مقالتين في مجلّة (المَوْرِد) العراقيّة (التَّكْرِيْتِيّ، 3 (2): 11-32. 3 (3): 99-122). فأحصى 47 مصدرًا ذكرها المَيْدَانِيّ في كتابه؛ ما بين كتابٍ أخذ عنه أو عالِمٍ ذَكَرَ روايتَه للمثل ممّن له تأليف في الأمثال؛ من جُملة الخمسينَ كتابٍ التي رجع إليها المَيْدَانِيّ كما ذكر في مُقَدِّمته.

1 عمد بعض الباحثين إلى نشـر بعض الكتب المفقودة ككتاب أبي عُبَيْدة والأَصْـمَعِيّ من خلال جمع أمثالهم التي تُنسَـب إليهم في كتب الأمثال الأخرى أو غيرها من المصادر التي وصلتنا. ولكن يبقى الكتاب الأصليّ الذي ألّفه صاحبه مفقوداً، ولا عبرة بهذا الجمع الذي ربّما يُغفل كثيراً ممّا كان فيه فضلًا عمّا يحدث من اختلاف في الترتيب أو شرح المثل وعرض حكايته.

2 هو أستاذ الأَصْمَعِيّ وأبي عُبَيدة، ولكنْ لا ذِكْرَ لتاريخ وفاته في المصادر. يُنْظَرُ: الحَمَوِيّ، 1993: 4/1622. السُّيُوطِيّ، 1964: 2/137.

وقد أحصى التَّكْرِيْتِيُّ في المقالتين 128 عالِمًا استفاد منهم المَيْدَانِيّ؛ كما ذكر مَسْرَدًا للأمثال التي ينسبها المَيْدَانِيّ إلى كلّ عالِم منهم. وقد تبيّن له من خلال الإحصائيّة أنّ أكثر مَن أخذ عنه هو أبو عُبَيْدٍ حيث أخذه عنه 181 مثلًا، ثمّ الأَصْمَعِيّ الذي أخذ عنه 134 مثلًا. وقد نبّه الباحث على أنّ المَيْدَانِيّ قد ذكر في مُقدِّمته علماءَ أخذ عنهم عددًا قليلًا جدًّا من الأمثال؛ مثل عُبَيْدِ بنِ شَرِيَّةَ الذي أخذ مثلًا واحدًا عنه، وعَطَاءِ بن مُصْعَبٍ الذي أخذ عنه 3 أمثالٍ فقط، في حين لم يذكر في المُقدِّمة بعض أسماء مَن أخذ عنهم كثيرًا وذكرهم في المتن؛ مثل ابن الأَعْرَابِيّ الذي روى عنه 104 مثلًا.

أمّا الزَّمَخْشَرِيّ فلم يهتمَّ بذكر مصادره، وقد سبقت إشارتنا إلى أنّ مُقدِّمة المُسْتَقْصَى تُغفل ذلك تمامًا. لكنّ الكتاب على أيّ حال لا يخلو من إشارات إلى بعض العلماء الذين أخذ عنهم، ولا نُوافق هنا أحد الباحثين الذي استوقفه «خلوّه من الرواية عن العلماء، ومن التصريح بالنقل عن كتب الأمثال السابقة» (قطامش، 1988: 120)، ورأى ذلك من عيوب الكتاب. والحقّ أنّ كتاب الزَّمَخْشَرِيّ لا يخلو من ذكر بعض مصادره، وإنْ كان لا يُوْلي أهمّيّة كبيرة لذلك. وسوف نعرِض بعضًا من ذلك ممّا يدلّ على اتّكاء الزَّمَخْشَرِيّ على غيره من العلماء في كتابه، وإنْ يكن ذلك قليلًا ولا يُقاس بما هو عند المَيْدَانِيّ.

لقد كان ذكرُ الزَّمَخْشَرِيّ بعضَ العلماء يرد غالبًا في تفسير الشرح اللغويّ أو ذكر أبيات الاستشهاد، وأحيانًا كان يرد ليذكر رواية عالِمٍ في ضبط إحدى كلمات المثل، كما قد يرد في سياق عرض غيره لقصّة المثل. ومن العلماء الذين ذكرهم:

1. عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ الجُرْهُمِيّ

ذكره في المثل 1312 من الجزء الأوّل: (**البَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ**). إذ يبدأ قصّة المثل على النَّحْو الآتي: «تبع عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ جَنازة رجلٍ من بني عُذْرَة فَلَمَّا وُضع فِي حفرته تنحّى نَاحيةً وَعَيناهُ تَذْرِفانِ وَثَمَّ حَمِيْمٌ للمَيّت لَا يَنْدى جَفْنُه...»، ويُتابع في ذكر الحادثة. و**عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ** هذا هو أحد المؤلّفين في الأمثال من الذين نقلت عنهم كتب الأمثال ولم تصلنا كتبهم، وقد ورد ذكره في مُقَدِّمَة المَيْدَانِيّ كما أوردنا سابقًا. ومن ثَمَّ فالزَّمَخْشَرِيّ هنا يعتمد عليه في نقل قصّة هذا المثل.

2. أبو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ سَعِيْدُ بْنُ أَوْسٍ

في المثل 1163 من الجزء الأوّل: (**أَفْوَاهُهَا مَجَاسُّهَا**) يشرح الزَّمَخْشَرِيّ المثل ثُمّ يقول: «ويُرْوى أَحْنَاكُهَا مَجَاسُّهَا، قال أبو زَيْدٍ: إذا طلبتْ كلأً جَسّتْ بروؤسها وأحناكها، فإنْ وجدتْ مَرْتَعًا رَمَتْ بروؤسها فرَتَعَتْ وَإِلَّا مرَّتْ، والمَجَاسُّ على هذا المواضع التي يُجَسُّ بها».

وأبو زَيْدٍ الذي ينقل لنا روايته هنا هو أبو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ سعيدُ بْنُ أَوْسٍ الذي نقل عنه مؤلّفو كتب الأمثال دون أن يصلنا كتابه، وهو أيضًا ممّن ذُكِرَ في مُقدِّمة المَيْدَانِيّ ممّن أثبتنا أسماءهم قبلُ. وهو يَرد أيضًا عند الزَّمَخْشَرِيّ في المثلين 1766 و1881 في الجزء الأوّل، فيذكر بيتًا أنشده أبو زَيْدٍ في المثل الأوّل، وشرحًا لغويًّا له يدعم معنى الثاني. وأبو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ مشهور بتفسير الغريب والنادر في اللغة، وهو متخصّص في هذا الحقل، وقد وصل

إلينا كتابه (النَّوَادِرُ في اللغة)، وله فضـــله المعروف غير المدفوع في هذا المجال[1]؛ ولذلك يعتمد عليه الزَّمَخْشَـرِيّ في تفسير معاني الأمثال والاستشـهاد لها. ويذكر الزَّمَخْشَـرِيّ كتاب أبي زَيْدٍ (النوادر في اللغة) صـراحةً في المثل 810 في الجزء الثاني، فيقول في المثل: (**لَأُلْحِقَنَّ حَوَاقِنَكَ بِذَوَاقِنِكَ**): «ويُروى لَأَلْزَقَنَّ حَوَاقِنَكَ بِلَوَاقِنِكَ، وهو أسفل بطنه، هكذا ذكره أبو زَيْدٍ في نوادره».

كما يذكر الزَّمَخْشَـــرِيّ أبا زَيْدٍ في الجزء الثاني ضـــمن الأمثال: 161، و419، و956، و1048، و1151، و1234. ومن ثَمَّ فإنّ اعتماد الزَّمَخْشَـــرِيّ على أبي زَيْدٍ في شـــرح الألفاظ والتنبيه على بعض الروايات ظاهر لا يُنكَر.

3. المُفَضَّلُ بْنُ محمد الضَّبِّيُّ

وممّن ذكرهم الزَّمَخْشَرِيّ ونقل عنهم نجد المُفَضَّلَ الضَّبِّيَّ صاحب كتاب (أَمْثَالِ الْعَرَبِ) الذي تُعَدُّ أمثاله «أقدم مجموعةٍ وصـــلتنا من الأمثال، وهي لذلك أقدم صـــورةٍ لدينا من المثل الجاهليّ المقترن بالحكاية. وله أهمّيّة كبيرة، لأنّه أصبح مصدرًا لأكثر الكتب التي أُلِّفتْ بعده في هذا الموضـوع» (الضَّـبِّيّ، 1983: 5). وقد ورد هذا الكتاب ضـمن مصـادر المَيْدَانِيّ. وحقًّا قد اسـتفاد الزَّمَخْشَـــرِيّ منه أيضًـــا؛ إذ يعتمد في شـــرح المثل 1036 من الجزء الأوّل: (**أَعَزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ**) على كتاب المُفَضَّلِ، فيقول في بداية شرحه: «قال المُفَضَّـلُ الضَّـبِّيُّ: كَانَت الزَّبَّاءُ امْرأَةً من الرُّوم وأُمُّها من العَمَالِقَة، وكانتْ تَتَكلَّم بِالعربيّة، وكانت مَلِكةً على قِنَّسْرِيْنَ والجَزيرة».

ونجد هذا الكلام كما هو في كتاب المُفَضَّـلِ الذي وصـل إلينا (الضَّـبِّيّ، 1983: 143). ثم يترك الزَّمَخْشَرِيّ بقيّة الحكاية لأنَّ حديثها – كما يقول- يطول ويشتمل على أمثال عدّة (الضَّبِّيّ، 1983: 143-147. الزَّمَخْشَـــرِيّ، 1962: ج1، الأمثـال: 132، و802، و942، و1044، و1437، و1438، و1592. ج2، الأمثال ذوات الأرقام: 14، و108، و158، و256، و324، و546، و813، و931، و944، و1402، و1510). وإذا لم يذكر الزَّمَخْشَرِيّ المُفَضَّـلَ الضَّـبِّيَّ مرّةً ثانيةً في تلك الأمثال فإنّه في هذا المثل قد أنبأنا أنّه ينقل ما يتعلّق بالزَّبَّاءِ من أمثالٍ عن المُفَضَّلِ وكتابه.

4. الأَصْمَعِيُّ أبو سَعِيْدٍ عبدُ المَلِكِ بنُ قُرَيْبٍ

ورد ذكر الأَصْمَعِيّ في كتاب المُسْتَقْصَى اثنتي عشْرةَ مرّةً. يذكر في بعضها روايته للمثل أو كلماته وشرحه له؛ من ذلك:

في الجزء الأوّل في المثل 1303: (**إِلَى أُلَّافِهَا يَقَعُ الطَّيْرُ**) لا يزيد الزَّمَخْشَرِيّ شيئًا على ما ينقله عن الأَصْمَعِيّ؛ فيقول في شرح هذا المثل وحكايته: «قَالَ الأَصْمَعِيّ كنتُ أَسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتّى رأيتُ غِرْبانًا تقع فتقع البُقْعُ معَ البُقْعِ والسُّوْدُ معَ السُّوْدِ».

في الجزء الأوّل أيضًـــا في المثل 1622: (**أَنَـا غُرِّيْرُكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ**) بعد أن يذكر الزَّمَخْشَرِيّ معنى المثل يذكر أيضًا المعنى الذي يُقدّمه الأَصْمَعِيّ فيقول: «قال الأَصْمَعِيّ معناه أنا أَدّيتَ إليك ما سمعتُ ولم أَغُرَّكَ، إنَّما غَرَّنِيْ مَنْ أخبرني بغير الحقّ فأخبرتُكَ به وأَدّيتُه إليكَ».

1 تُنْظَرُ أخباره في: ابن خَلّكان، 1968: 2/378-380. السُّيُوطِيّ، 1964: 1/582-583، و2/376.

في الجزء الثاني في المثل 92: (**تَسْأَلُنِيْ بِرَامَتَيْنِ شَلْجَمًا**[1]) بعد أن يذكر الزَّمَخْشَرِيّ الرَّجَزَ المتعلَّق بالمثل، وهو:

تَسْـأَلُنِيْ بِرَامَتَيْنِ شَـلْجَمَا إِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ شَيْئًا أَمَمَا

جَاءَ بِهِ الْكَرِيُّ[2] أَوْ تَجَشَّمَا

ينقل حكاية المثل عن الأَصْـمَعِيّ فيقول: «وحكى الأَصْـمَعِيّ أنّه قِيْلَ لرجلٍ من أهل رَامَةَ: إنّ قاعكم طيّبٌ فلو زرعتموه! قال: زرعناه. قال: وما زرعتموه؟ قال: سَـلْجَمًا. قال: وما حَدَاكُم على ذلك؟ قال: مُعانَدةً لقول الشّاعر: تَسْأَلُنِيْ - الْبَيْت».

فاعتماد الزَّمَخْشَـرِيّ في هذا المثل على الأَصْـمَعِيّ كما نرى هو اعتماد كامل في الرَّجز وحكايته؛ ومن ثَمَّ فقد يكون الزَّمَخْشَرِيّ قد اطّلع على كتاب الأَصْمَعِيّ في الأمثال، أو قرأ المثل وحكايته في مصـدر آخر نقل عن الأَصْـمَعِيّ. فهو على أيّ حال يُثبت لنا أنّه ينقل هذا المثل وحكايته عن الأَصْمَعِيّ، وأنّه ليس من بنات أفكاره.

ومثلما استفاد الزَّمَخْشَـرِيّ في الأمثال السـابقة من الأَصْـمَعِيّ نجده يعتمد عليه أيضًـا في الأمثال 229، و373، و944، و1637 في الجزء الأوّل، والأمثال 79، و257، و292، و967، و1226 في الجزء الثاني من كتابه.

كما يستشهد الزَّمَخْشَرِيّ بعلماءَ آخرين ممّن أَلّفوا في الأمثال أو عُرِفوا بالتأليف في غيرها من فروع اللغة؛ ولكيلا نُطيل فسوف نُحيل على بعضٍ منهم:

1. ابن الأَعْرَابِيّ: الجزء الأوّل : المثل 937، والجزء الثاني: الأمثال 574، و1506، و1537.
2. أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى: الجزء الأوّل : المثلان 37، و1089. الجزء الثاني: المثلان 781، و939.
3. أبو عَمْرِو بْنُ العَلاء: الجزء الأوّل: المثل 43.
4. الجاحِظ: الجزء الأوّل: الأمثال 210، و227، و1211.
5. المُبَرِّد: الجزء الأوّل: المثل 1271. الجزء الثاني: المثلان 320، و377.
6. الفَرَّاء: الجزء الأوّل: المثل 143. الجزء الثاني: المثل 837.
7. أبو الهَيْثَمِ: الجزء الثاني، المثل 292.
8. الْمَدَائِنِيُّ: الجزء الأوّل: المثل 581.

ومن ثَمَّ فإنّ اعتماد الزَّمَخْشَـرِيّ على من سـبقه في التأليف في ميدان الأمثال خصـوصًـا واللغة عمومًا ظاهر في كتابه بكلّ وضوحٍ؛ وإنْ يكن قد ترك الإشارة إليه في مُقدِّمة كتابه.

---

1 يُرْوَى بالسين والشين: سَلْجَم وشَلْجَم. ويذكر الزَّمَخْشَرِيّ أنّ رواية الشين أفصح. لكنّنا نجد بعض المصادر الأخرى تَرويه بالسّين لا بالشّين، وينقل أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ عن أبي حَنِيْفَةَ أنّه لفظٌ أعجميّ عُرِّبَ بالسّـين. كما ينقل المَيْدَانِيّ تخطئةَ الأَزْهَرِيّ لمن يقول شَـلْجَم أو تَلْجَم، وينصّ على أنّه بالسـين. يُنْظَرُ: البَكْرِيّ، 1971: 340. المَيْدَانِيُّ، 1955: 124/1.

2 الكَرِيُّ: الذي يُكْرِيْ دابّتَه؛ أي يُؤْجِرُها.

ليس ثمّة طريقة واحدة في ترتيب الأمثال ضـــمن الكتب التي جمعتها قديمًا، ويُمكن أنْ نُجمل هذه الطرائق في أربع رئيســة مع ما يوجد فيها من بعض الاختلافات كزيادة باب أو بابين في آخر بعضٍ منها أو غير ذلك:

1. الترتيب العشوائيّ بلا نظام محدّد ولا ترتيبٍ معيَّن؛ مثل كتاب (أَمْثَالِ العَرَبِ) للمُفَضَّلِ بْنِ محمد الضَّـبِّيِّ، و(كِتَابُ الْأَمْثَال) لأبي فَيْدٍ مُؤَرِّج السَّـدُوْسِـيّ، وكتاب (الفَاخِرِ فِي الأَمْثَالِ) للمُفَضَّـلِ بنِ سَـلَمَةَ الضَّـبِّيّ، وكتاب (الزَّاهِرِ فِي مَعَانِيْ كَلِمَاتِ النَّاسِ) لأَبِي بَكْرٍ محمد بْنِ القَاسِمِ الأَنْبَارِيّ ت 291ه.

2. الترتيب بحسب الموضوعات؛ مثل (كِتَابِ الأَمْثَالِ) لأبي عُبَيْدٍ القاسم بن سَلَّامٍ، وشَرْحِهِ (فَصْـلُ المَقَالِ فِي شَـرْحِ كِتَابِ الأَمْثَالِ) لأَبِي عُبَيْدٍ البَكْرِيّ، و(نُكْتَةُ الْأَمْثَال ونَفْثَةُ السِّـحْرِ الْحَلَال) لأبي الربيع سليمان بن موسى الكَلاعِيّ.

3. ترتيب الأبواب أَلِفْبَائِيًّا؛ ثمّة كتب اعتمدت التقسيم إلى أبواب بحسب الحروف الهجائيّة دون مراعاة الأحرف التالية ضـمن كلّ باب؛ مثل (كِتَابِ الأَمْثَالِ) لزَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الهَاشِـمِيّ[1] (ت 373ه)، و(الدُّرَّةُ الفَاخِرَةِ فِي الأَمْثَالِ السَّـائِرَةِ) لحَمْزَةَ بْنِ الحَسَنِ الأَصْـبَهَانِيّ، و(جَمْهَرَةُ الأَمْثَالِ) لأَبِي هِلَالٍ العَسْـكَرِيّ، و(مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ) لأَبِي الفَضْـلِ المَيْدَانِيّ، و(فَرَائِدِ الخَرَائِدِ فِي الأَمْثَالِ)، وصـــاحب هذا الكتاب الأخير هو تلميذ المَيْدَانِيّ أَبُو يَعْقُوْبَ يُوْسُـــفُ بنُ طَاهِرٍ الخُوَيِّيّ[2] (ت 549ه).

4. ترتيب الأبواب والأمثال ألفبائيًا؛ ثمّة كتب اعتمدت التقسيم إلى أبواب بحسب الحروف الهجائية مع مراعاة الأحرف التالية ضـمن كلّ باب، فهي تزيد على الطريقة السـابقة بأن ترتب الأمثال ألفبائيًا ضمن كلّ باب أيضًا؛ مثل (المُسْتَقْصَى في أمثال العرب) للزمخشري، و(تِمثال الأمثال) لأبي المحاسن العَبْدَرِيّ، و(زَهْرُ الْأَكَم فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكَم) للحسن اليُوْسِيّ.

ومن خلال ما تقدّم نلحظ أن كتاب المُسْـتَقْصَـى من المصـادر الأكثر وضـوحًا في ترتيب الأمثال، فيسهل الرجوع فيه إلى المثل المطلوب كما لو أنّنا ننظر في أيّ معجم لغويّ للبحث عن كلمة ما. وسوف نُفصّل الآن في طريقة كلٍّ من الكتابين:

ترتيب (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ)

بيّنَ المَيْدَانِيّ الطريقة التي اعتمدها في ترتيب كتابه في المُقدِّمة (المَيْدَانِيُّ، 1955: 4/1-5)، ويُمكننا توضيح هذه الطريقة بالنقاط الآتية:

1. رتّب المَيْدَانِيّ أبواب الكتاب ترتيبًا ألفبائيًا في 28 بابًا مقدِّمًا باب الواو على الهاء؛ هي باب الألف وباب الباء وباب التاء...، ثمّ يُكمل عِدَّةَ الأبواب إلى الثلاثين فيُضـيف بابين ليسـا من الأمثال؛ فيجعل الباب التاسع والعشرين خاصًّا بأسماء أيّام العرب؛ أي أسماء معاركها المشهورة في الجاهليّة والإسلام، وهو يذكر أنّه يُثبت في هذا الباب أسماء هذه الأيّام فقط من دون تفصيل

1 يجعل كتابه أبوابًا مرتّبةً بحسب الحروف الهجائيّة، ويُضيف بابًا للأمثال المبدوءة بـ(لا) قبل باب الياء. ويُضيف أيضًا ضمن الباب الأوّل 12 بابًا لصور مخصوصة من الأمثال المبدوءة بالهمزة؛ مثل باب ما جاء على (أفعل)، وباب ما أوّله (إنْ)، وباب (أنْ)، وباب (إيّاك)، وباب (إنّه)...إلخ.

2 الخُوَيِّيّ نسبةً إلى خُوَيٍّ؛ بلدة من أَذْرَبِيجانَ.

أحداثها؛ لأنَّ ثمّة تحريفًا في ذكر أسـمائها ولأنّ أحداثَها مشـهورة قد أُلِّفَتْ فيها الكتب. ثم يُفرِد البابَ الثلاثين لبعض أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلّم وكلام خُلَفَائه الراشدين وبعض الصحابة والتابعين وغيرهم ممّا يُعَدّ من المواعظ والحكم والآداب؛ أي الأقوال التي تقترب في طبيعتها من الأمثال.

2. يُورد ضـمن كلّ باب الأمثال الفصـيحة القديمة أوّلًا، ثمّ يُتْبِعُها بالأمثال المبدوءة بوزن (أَفْعَلُ مِنْ)، ثمّ تأتي أخيرًا الأمثال المُوَلَّدة التي تبدأ بالحرف الذي بُنِي الباب عليه. وقد يظنّ المرء أنْ تكون الأمثال المبنيّة على وزن (أَفْعَلُ مِنْ) كلّها في الباب الأوّل ؛ أي باب الهمزة؛ لأنَّ هذا الوزن يبدأ دائمًا بحرف الهمزة (أ). إلّا أنّ الأمر ليس كذلك؛ إذ ينظر المؤلف في هذه الأمثال إلى الحرف الثاني فيه لا إلى الهمزة؛ أي لا يجمع كلّ أمثال (أَفْعَل) في باب الهمزة، وإنّما يُوزِّعها على الأبواب بحسب حرفها الثاني؛ فالمثل (آكل من لقمان) يرد في الباب الأوّل أي باب الهمزة[1]، والمثل (أبخل من مادر) يرد في باب الباء؛ لأنَّ ثاني حرف من وزن أَفْعَل هنا (أبخل) هو الباء, والمثل (أتيم من المُرَقِّش) يرد في باب التّاء، وهكذا.

3. ليس ثمّة ترتيبٌ للأمثال ضمن كلّ باب؛ سواء في الأمثال الفصيحة، أم التي على وزن (أَفْعَل)، أم الأمثال المُوَلَّدة؛ أي لا يُراعي المؤلّف الحرف الثاني وما بعده في الترتيب. فمثلًا أوّل مثل في باب الراء هو: **رَعَى فَأَقْصَبَ** برقم 1520؛ أي يبدأ بالعين بعد الراء ولا يبدأ بالهمزة بعد العين، في حين يرد مثلًا: **رَأْيُ الشَّـيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْـهَدِ الغُلَامِ** برقم 1547، والمثل: **رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا** برقم 1555. وهكذا. فكلّ الأمثال ضـمن الباب تبدأ بالحرف نفسـه[2]، ولكنّ الحرف الثاني وما بعده لا ترتيب لها. ومن ثَمَّ فإنّ العثور على مثل ما ضـمن كلّ باب ليس سـهلًا؛ إذ قد نحتاج قراءة الباب كلّه للعثور على المبتغى.

4. ليس شرطًا أنْ يبدأ كلّ مثل بالحرف الذي عُقِد له الباب، ومردّ ذلك هو الاهتمام بالأصل اللغويّ لا بالصورة الشكليّة المنطوقة للفظ. ولذلك استثنى المَيْدَانِيّ ما يأتي:

– **(أل) التعريف.** فلا يجعل كلّ مثل مبدوء ب(أل) التعريف ضـمن باب الهمزة، وإنّما يضعه في باب أوّل حرف أصليّ يتلو أداة التعريف؛ لأنَّ (أل) زائدة ليست من أصل الكلمة؛ فالأمثال: **الرَّبَاح مَعَ السَّـمَاح، الرِّفْيِق قَبْلَ الطَّرِيْق، الرُّوْمُ إِذَا لَمْ تُغْزَ غَزَتْ**... كلّها ترد في باب الراء لأنّها أوّل حرف أصليّ بعد (أل) التعريف.

– **ألف الوصل.** أي همزة الوصل(اَ، اُ، اِ)[3]؛ فلا تكون الأمثال المبدوءة بهمزة الوصل في باب الهمزة، وإنّما في باب الحرف الذي يتلو ها؛ لأنّه أوّل حرف أصـليّ في الكلمة؛ فالأمثال: **اُسْتُ لم تُعَوَّد المِجْمَرَ، اُسْتُ الْبَائِنِ أَعْلَمُ، اِسْتَنَّتِ الفِصَالُ حَتَّى الْقَرْعَى، اِسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُ**، ترد كلّها في باب السّين دون النظر إلى همزة الوصل قبلها.

– **ألف القطع.** أي همزة القطع (أَ، أُ، إِ)؛ فلا تكون الأمثال المبدوءة بهمزة القطع أيضًا في باب الهمزة، وإنّما في باب الحرف الذي يتلو ها؛ لأنّه أوّل حرف أصـليّ في الكلمة؛

---

1 كلّ مَدّة آ هي عبارة عن حرفين: همزة مفتوحة وألف: أ+ا؛ ومن ثَمّ فالحرف الثاني هو الألف في وزن أَفْعَل في مثل: آكَلُ، آمَنُ، آلَفُ... وكلّ ما يبدأ بالمَدّة يكون في باب الهمزة.

2 إلّا بعض الاستثناءات التي ذكرها المَيْدَانِيّ؛ مثل أمثال (أَفْعَلُ مِنْ) كما وضّحنا، والحالات التي سنُبيّنها في النقطة التالية مباشرة.

3 هذا الحرف هو همزة الوصل وليس الألف؛ لأنّ الألف لا تقبل الحركات، وإنّما هي ساكنة دائمًا. والألف لا تكون في أوّل الكلمة، بل في وسطها أو آخرها. أمّا همزة الوصل فلا تكون إلّا في أوّل الكلمة. وأمّا الهمزة عمومًا فهي تأتي أوّل الكلمة ووسطها وآخرها.

فالأمثال: **أَحَادِيْثُ الصُّــمِّ إِذَا سَــكِرُوْا، أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المُعَارُ، أَحْمَقُ بِلْغٌ**، ترد كلّها في باب الحاء دون النظر إلى همزة القطع قبلها.

– **ألف الأمر.** أي الهمزة التي يبدأ بها فعل الأمر؛ مثل: **أَرْخِ يَدَيْكَ وَاسْــتَرِخْ، إِنَّ الزِّنَادَ مِنْ مَرْخٍ؛ أَرْسِلْ حَكِيْمًا وَأَوْصِهْ، أَرْسِلْ حَكِيْمًا وَلَا تُوْصِهْ، أَرْغُوْا لَهَا حُوَارَها تَقِرّ، اِرْقَ عَلَى ظَلْعِكَ**، كلّها ترد في باب الرّاء.

– **ألف الاستفهام.** فالمثل: **أَحَشْفًا وَسُوْءَ كِيْلَة؟** يرد في باب الحاء. والمثل: **أَرَوَغانًا يَا ثُعَال، وَقَدْ عَلِقْتَ بِالْحِبَال؟** في باب الرّاء. والمثلان: **أَسَــائِرٌ الْقَوْمُ وَقَدْ زَالَ الظُّهْرُ؟ أَسَــعْدٌ أَمْ سُــعَيْدٌ؟** في باب السّـين. والمثلان: **أَمَكْرٌ وَأَنْتَ فِي الْحَدِيْدِ؟ أَمَعَنَا أَنْتَ أَمْ فِي الْجَيْشِ؟** في باب الميم.

– **ألف المُخْبِر عن نفسه.** أي الهمزة التي يبدأ بها الفعل المضـارع؛ مثل: **أُرِيْهَا السُّــهَا وَتُرِيْنِي القمر، أَرْقُبُ لَكَ صُــبْحًا**، يردان في باب الرّاء. والجدير بالذكر هنا أنّ المَيْدَانِيّ لا يُهمل ســوى الهمزة من ضــمن أحرف المضــارعة الأربعة المجموعة في كلمة (نأيت)؛ فالأمثال التي تبدأ بحرف من أحرف المضـارعة الثلاثة المتبقيّة؛ أي التّاء والنّون والياء، ترد ضــمن باب حرف المضــارعة لا الحرف الأصــليّ الذي بعده؛ مثل: **تَجُوْعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا**، في باب التّاء على الرَّغْم من أنّ أوّل أصول الكلمة هو الجيم (جوع).

– **ما ليس من أَصْــلِ الكلمة.** ويقصــد المَيْدَانِيّ هنا حروف الزيادة لا حروف الربط والمعاني ما عدا الهمزة إذا كانت من حروف المعاني[1]؛ فممّا ورد في أوّله حرف زيادة: **أَرْجُلُكُمْ وَالْعُرْفُطَ**، في باب الرّاء. والمثلان: **أَمَلَكُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَكْتَمُهُمْ لِسِرِّه، اِسْتَمْسِكْ فَإِنَّكَ مَعْدُوٌّ بِكَ**، في باب الميم. والمثل: **اِنْفَلَقَتْ بَيْضَةُ بَنِيْ فُلَانٍ عَنْ هذا الرَّأي**، في باب الفاء.

أمّا حروف الربط فليس كما تقدّم؛ إذ هي بمنزلة كلمات يلتصق بعضها بما بعده؛ مثل: **بِأَبِيْ وُجُوْهُ اليَتَامَى، بِبَطْنِهِ يَعْدُو الذِّكَر، بِحَمْدِ اللهِ لا بِحَمْدِكَ**، فترد في باب الباء كلّها. والمثل: **فَلِمَ خُلِقْتُ إِنْ لَمْ أَخْدَعِ الرِّجَالَ** في باب الفاء. **كَمُجِيْرِ أُمِّ عَامِرٍ، كَالثَّوْرِ يُضْــرَبُ لَمَّا عَافَتِ البَقَرُ، كَمُسْــتَبْضِــعِ التَّمْرِ إِلى هَجَرَ**، كلّها في باب الكاف. **لِكُلِّ جَوادٍ كَبْوَةٌ، لِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِــيْرٌ أَنْفَهُ، لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ ثُمَّ يَضْمَحِلّ، لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ**، كلّها في باب اللام.

وتفريق المَيْدَانِيّ في الترتيب بين حروف الزيادة وحروف الربط هو – كما نظنّ - المنهج الأنسـب لطبيعة اللغة العربيّة التي تعتمد على الاشـتقاق والتصـريف من الأصـل اللغويّ الذي

---

1 أحرف الزيادة عشرة مجموعة في قولنا (سألتمونيها) أو (أمان وتسهيل) أو (اليوم تنساه) أو (لا أذسيتموه) أو (نهاية مسؤول)، وزيادتها ليست واجبةً؛ أي قد تكون هذه الأحرف زائدة كما قد تكون أصـليّة. فالكلمتان (مَتْنٌ) و(سَـألَ) ليس فيهما أيُّ حرف زائد على الرَّغم من أنّ جميع حروفهما من الأحرف العشــرة الســابقة. أمّا (أكتب) و(يكتبون) مثلًا ففيهما زوائد؛ الهمزة في الكلمة الأولى، والياء والواو والنّون في الثانية. والكلمات: أخرج، خرّج، تخرّج، خارج، متخرّج، تخرّجوا، مخارج، خرجة... ليس فيها أحرف أصليّة سوى الخاء والرّاء غير المشدّدة والجيم؛ أمّا ما سوى ذلك فهي أحرف زيادة، ومنها الحرف المشدّد. وأحرف الزيادة تُصبح جزءًا من الكلمة، وتكون في الأسماء والأفعال.

أمّا أحرف الربط فتظلّ كلمة مســتقلّة وإن اتّصــلت بغيرها؛ ولذلك لا تُؤثّر في بنية الكلمة من ناحية التجريد والزيادة، وقد يتكوّن أحدها من حرف واحد أو أكثر، والحروف المفردة منها - وهي التي تهمّنا هنا بالنســبة إلى الترتيب في كتاب المَيْدَانِيّ؛ لأنّها تتّصــل بأوّل الكلمة فتُعتَبَر في ترتيب الأمثال - هي 14 حرفًا يجمعها قولنا (بكشف سألتمونيها)، ومنها أحرف الجرّ كالباء واللام؛ مثل قولنا: بالبيت، للمدرسة، ومثل تاء القسم: تالله، وكحرف الاستقبال السّين: سأدرس، وكأحرف العطف الواو والفاء...

وكما نرى فالأحرف العشــرة (ســألتمونيها) قد تكون من أحرف الربط كما تكون من أحرف الزيادة ؛ فالهمزة مثلًا زائدة في نحو: أدخل، أيّام، أعداد. وكلّ من هذه الألفاظ كلمة واحدة. في حين تكون الهمزة من حروف الربط في نحو: أزيدٌ جاء؟ فهي هنا حرف اســتفهام، وليســت حرفًا مزيدًا في (زيد). وهذه الهمزة تتّصل بالكلمة التي بعدها فتُكتَبُ ملاصقةً لها، ولكنّها في الرسم لا تتّصل بالحرف الذي بعدها بخطٍّ كما تتّصل الباء مثلًا في نحو: بزيد = بــ + زيد. ولذلك ربّما لم يلتفت المَيْدَانِيّ إلى الهمزة في الترتيب فأسقطها كما رأينا حين الحديث عن (ألف الاستفهام)، وربّما أسقطها ليكون عدم اعتبار الهمزة عامًّا سواءً أكانت حرف زيادة أم حرف ربط.

يُشكِّل مصدرًا لكلّ الألفاظ المأخوذة منه (الطَّنَاحِيّ، 2002: 184)؛ فبذلك تبقى الكلمات المشتقّة من أصل واحد ضمن الباب نفسه، فلا تتوزّعها أبواب مختلفة بسبب زيادة حرف أو أكثر في أولها. وبسبب هذه الطبيعة اللغويّة فإنّ علماء اللغة العرب القدامى حينما بدؤوا يُدوِّنون المعاجم كانوا يبحثون عن طرق الترتيب التي تُناسب اللغة العربيّة؛ فالهدف الأوّل من المعجم هو حفظ اللغة وجمعها بما يُناسبها، ولذلك لم تكن أولى الطرق تلك هي الترتيبَ ألفبائيًّا بحسب أصول الكلمات وأوائلها على الرَّغْم من أنّ هذا الترتيب كان معروفًا حين ألّف الخليل بن أحمد الفراهِيْدِيّ (ت170ه) معجمه (العَيْن)، بل كان ترتيبًا صوتيًّا بحسب مخارج الحروف[1] عند الخليل في معجمه، وأبي منصور الأَزْهَرِيّ (ت370ه) في (تهذيب اللغة)، وأبي علي القالِيّ (ت356ه) في (البارع في اللغة)، وابن سِيْدَه الأندلسيّ (ت458ه) في (المُحْكَم والمحيط الأعظم)؛ ثم كان الترتيب الألفبائيّ وَفْقَ أصول الكلمات[2]، وينقسم إلى:

– **ترتيب بحسب أواخر أصول الكلمات**، وقد سارت عليه أهم المعاجم العربيّة وأوسعها. وترجع أهميّة هذه الطريقة إلى أنّ آخرها – إذا استثنينا أحرف العلة- لا يتغيّر، أمّا أوائلها فليست لها صورة ثابتة، ومن معاجمه (الصِّحَاح[3]؛ تاج اللغة وصِحاح العربيّة) لأبي نصر إسماعيل بن نصر الجَوْهَرِيّ (ت393ه)، و(لسان العرب) لابن مَنْظُور محمد بن مُكَرَّم (ت711ه)، و(القاموس المحيط) للفَيْرُوْزآبادِيّ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817ه)، و(تاج العَرُوس من جواهر القامُوْس) لمحمد مُرْتَضَى الزَّبِيْدِيّ (ت1790/1205).

– **ترتيب بحسب أوائل أصول الكلمات؛** مثل (أساس البلاغة) للزَّمَخْشَرِيّ. وقد سبقته أربعة معاجم، ولكنّها لا تلتزم هذه الطريقة بدقّة، بل تجري تعديلات أخرى على الطريقة بحيث تخرج بها من السهولة إلى العسر في البحث عن الكلمة المطلوبة (فاخُوريّ، 1998: 100-102).

أمّا من حيث السهولة للقارئ فلا شكَّ أنّ الترتيب بحسب الأوائل هو الأسهل، وقد اعتمده المَيْدَانِيّ دون أنْ يلتزم فيه التزامًا كاملًا كما رأينا، بل أجرى بعض الاستثناءات بسبب النظر إلى أصل الكلمات، بالإضافة إلى ما رأينا من عشوائيّة الترتيب ضمن الباب الواحد. وهو ما سيتخلّص منه الزَّمَخْشَرِيّ في كتابه كما سيَتبيّن. وسوف نذكر هنا بعض الأمثال ونُحدّد الأبواب التي تُوضَع فيها؛ ليكون ذلك تطبيقًا عمليًّا لما ذكرناه من الضوابط التي حدّدها المَيْدَانِيّ، فيتّضح بذلك منهجه على أكمل وجه:

المثل	الباب	التوجيه
أَكَلْتُمْ تَمْرِيْ وَعَصَيْتُمْ أَمْرِيْ	الهمزة	أوّل أصول الكلمة هو الهمزة (أكل)
بِسلاح مَّا يُقْتَلَنَّ القَتِيلُ	الباء	الباء حرف ربط يُعتَدّ به

1 ترتيب الحروف وَفْقَ المخارج في معجم (العَيْن) على الشكل الآتي: ع ح ه خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط ت د/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و ي ا ء. وأسماء هذه المجموعات على التوالي بحسب المخارج: الحروف الحَلْقِيّة، الحروف اللَّهَوِيّة، الحروف الشَّجْرِيّة، الحروف الأَسَلِيّة، الحروف النَّطْعِيّة، الحروف اللَّثَوِيّة، الحروف الذَّلَقِيّة، الحروف الشَّفَوِيّة أو الشَّفَهِيّة، الحروف الجَوْفِيّة أو الهَوائِيّة(العِلّة).

2 ابتدع هذا الترتيب الألفبائيّ نصرُ بن عاصمٍ اللَّيْثِيّ (ت 90ه)، وترتيب حروفه: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي.

3 يجوز بكسر الصّاد وفتحها: الصِّحَاح والصَّحَاح.

البَلَايَا عَلَى الْحَوَايَا	الباء	الباء أوّل أصول الكلمة (بلي)، ولا اعتداد بـ(أل)
أَبْصَرُ من زَرْقاء اليَمَامَةِ	الباء	الباء أوّل أصول الكلمة (بصر)، ولا اعتداد بـهمزة (أفعل)
أَتْبِعِ الفَرَسَ لِجامَها والنّاقَةَ زِمامَها	التاء	التاء أوّل أصول الكلمة (تبع)، ولا اعتداد بهمزة الأمر الزائدة
أَخْبَرْتُهُ بِعُجَرِيْ وبُجَرِيْ	الخاء	الخاء أوّل أصول الكلمة (خبر)، ولا اعتداد بهمزة المضارعة
اِسْتَعْجَلَتْ قَدِيْرَها فَامْتَلَّتِ	العين	العين أوّل أصول الكلمة (عجل)، وثلاثة الأحرف قبلها زوائد
أَغَيْرَةً وجُبْنًا؟	الغين	الغين أوّل أصول الكلمة (غير)، ولا اعتداد بهمزة الاستفهام
الإِفْرَاطُ في الأُنْسِ مَكْسَبَةٌ لِقُرَنَاءِ السُّوْءِ	الفاء	الفاء أوّل الأصول (فرط)، ولا اعتداد بـ(أل) ولا بالهمزة الزائدة
اِنْقَطَعَ السَّلَى في البَطْنِ	القاف	القاف أوّل الأصول (قطع)، ولا اعتداد بالحرفين الزائدين قبلها
الإِنْقِبَاضُ عن النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ	القاف	القاف أوّل الأصول (قبض)، ولا اعتداد بـ(أل) والحرفين الزائدين قبل القاف
كَالحَادِيْ وَلَيْسَ لَهُ بَعِيْرٌ	الكاف	الكاف حرف ربط يُعتَدّ به
لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ	اللام	اللام حرف ربط يُعتَدّ به
المَسْأَلَةُ آخِرُ كَسْبِ المَرْءِ	الميم	فسّر المَيْدَانِيّ ذلك بأنّ الميم هنا ملازمة للمثل، وهي مثل (المستشار مؤتمن) و(المحسن معان) اللَّذين قال عنهما سيردان في باب الميم[1]. فهذه الأمثال ترد في باب الميم وإنْ كان أول أصولها هو الحرف الذي بعد الميم. ومن هذه أيضًا: المُشاوَرَةُ قبل المُثَاوَرَة. المِكْثَارُ كَحَاطِبِ لَيْلٍ... فهذه وأمثالها ترد في باب الميم وفق الضابط المحدّد.
اِسْتَمْسِكْ فَإِنَّكَ مَعْدُوٌّ بِكَ	الميم	الميم أوّل أصول الكلمة (مسك)، وثلاثة الأحرف قبلها زوائد

1 بيّنا في موضع آخر أنّ المَيْدَانِيّ لم يذكر هذين المثلين (المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) و(المُحْسِنُ مُعَانٌ) فيما بعد ضمن أبواب كتابه. وأتينا بهما في الجدول لنُوضّح ضابطه الذي حدّده في ترتيب أشباه هذه الكلمات. وقد شذّ عنده المثل (2527- المُعْتَذِرُ أَعْيَا بالقِرَى) كما سنبيّن في الفقرة التالية.

أُنْطُقِيْ يَا رَخَمُ إِنَّكِ مِنْ طَيْرِ الله	النون	النون أوّل أصول الكلمة (نطق)، ولا اعتداد بهمزة الأمر
نَعُوْذُ بِالله مِنَ القُلِّ بَعْدَ الكُثْرِ	النون	لم يستثن المَيْدَانِيّ من أحرف المضارعة سوى ألف المُخْبِر عن نفسه كما وضّحنا سابقًا. فالنون هنا يعتدّ بها على الرَّغْم من أنّها ليست من أصول الكلمة
يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ	الياء	تُنْظَرُ ملاحظة المثل السابق
الأَيّامُ عُوْدٌ رَوَاجِعُ	الياء	الياء أوّل الأصول (يوم)، ولا اعتداد بـ(أل) ولا بالهمزة الزائدة

مآخذ على ترتيب مَجْمَعِ الأَمْثَال

غنيٌّ عن البيان أنّ المؤلّف لا يُؤاخَذ على منهج حدَّده وارتضاه لنفسه؛ فإنّ منهج المَيْدَانِيّ قام –كما رأينا- على ترتيب الأبواب ترتيبًا ألفبائيًّا يبدؤها بالأمثال القديمة، ثمّ يُثنّي بالتي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ)، ثم يختم الباب بالأمثال المُوَلَّدة من دون أنْ ينصّ على ترتيبٍ ألفبائيّ للأمثال داخل كلّ باب؛ فليس لنا أنْ نُطالبه بترتيب الأمثال ضمن كلّ باب، ولا أنْ نجعل ذلك قادحًا في أهميّة الكتاب وقيمته. ولكنْ لنا أنْ ننظر في منهجه نفسه الذي قرّره لنرى هل التزم به أو لم يلتزم. ولسوف نجد بعض التجاوزات التي ربّما جرّها إغفال الترتيب الألفبائيّ ضمن الأبواب، وكذلك ربّما لم يتيسّر للمؤلّف مراجعة كتابه للوقوف على تلك الفروق، ولا سيّما أنّه ربّما صنّفه في آخر حياته كما رجّحنا قبلُ.

1. الاختلاف في عدد الأمثال

ليس ثمّة عدد محدّد دقيق لأمثال كتاب المَيْدَانِيّ؛ إذ ذكر المَيْدَانِيّ في مُقَدِّمَته أنّه يحوي 6 آلاف مثل ونَيِّف؛ أي 6 آلاف وزيادة دون ذكر عدد معيَّن. وسوف نذكر هنا إحصاء من ذكر عددها مع التعقيب بأسباب الاختلاف:

1. ذكر المستشرق الألماني رودلف زلهايم أنّ عدد أمثال الكتاب في الأبواب الثمانية والعشرين المرتّبة وَفْقَ حروف المعجم تبلغ 3833 مثلًا، يُضاف إليها 905 مثلًا مُوَلَّدًا ذكرها المَيْدَانِيّ بعد أمثال أَفْعَل. فيُصبح عدد الأمثال في هذه الأبواب 5638 مثلًا. ثم يُضيف زلهايم إلى هذا العدد الأخير ما ورد في البابين الأخيرين؛ أي أسماء أيّام العرب في الباب التاسع والعشرين وعددها 217، والأحاديث الواردة عن الرسول وغيره في الباب الثلاثين وعددها 228، فيصل بذلك إلى 6000 ونيّف كما ذكر المَيْدَانِيّ (زلهايم، 1971: 217-218).

وتبدو لنا هذه الإحصائيّة مضطربة؛ إذ إنّ مجموع أوّل عددين ليس 5638، بل هو 4738، وربّما يُمكن تفسيره بأنّه لم ينصّ على عدد الأمثال التي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ)، فلربّما عنى مجموعها مع أمثال أَفْعَل من دون أنْ يُوضّح عدد أمثال أَفْعَل.

2. يُضيف سمير كاظم خليل كما فعل زلهايم ما ورد في البابين الأخيرين إلى ما يرد في الأبواب الثمانية والعشرين الأوّلى. والأعداد عنده: 3668 مثلًا قديمًا و1065 على وزن أَفْعَل و905 مثلًا مُوَلَّدًا، فيُصبح المجموع 5638، ثم يُضيف ما في البابين الأخيرين أي 210 و228 فيصل أيضًا إلى أكثر من 6000 كما ذكر المَيْدَانِيّ.

ومن الجدير بالذكر أنّ خليل يُشير إلى أنّه هو الذي قام بالإحصائيّة بنفسه. ونرى تطابق إحصائيّته مع إحصاء زلهايم في عدد الأمثال المُوَلَّدة، وهو يأخذ على عبد المجيد عابدين الذي ذهب إلى أنّ في الكتاب ما يُقارب ألفي 2000 مثلٍ مُوَلَّد نقلًا عن الباحث غويطاين مؤكّدًا أنّ عددها 905 وليس 2000، ولكنّ خليل في موضع آخر يُشكّك في إحصائيّته نفسه، فيقول: وإذا فاتني شيء فهي لا تتجاوز الألف أبدًا. أي إنّ العدد 905 ليس قطعيًّا عند خليل (خليل، 1983: 12 (3): 166 و176).

3. ذكر عبد المجيد قطامش أنّ عدد أمثال المجمع كاملة هي 6080 مثلًا من دون أنْ يُضيف ما ورد في البابين الأخيرين إلى هذا العدد. منها 5080 مثلًا عربيًّا(تشمل الأمثال القديمة وأمثال أَفْعَل)، و1000 مثلٍ مُوَلَّد. وهو يقول إنّه هو الذي قام بهذه الإحصائيّة، ويُخَطِّئ زلهايم الذي أضاف ما ورد في آخر بابين ليصل إلى أكثر من 6000. وقطامش كما نرى هنا يذكر أنّ الأمثال المُوَلَّدة عددها 1000. وهو في مكان آخر يذكر أنَّها زُهَاء ألف أي قريبًا من ألف (قطامش، 1988: 114 و176).

وقد يعجب المرء من اختلاف العدّ على الرَّغْم من أنّ الكتاب واحد والمحتوى نفسه بلا زيادة أو نقصان. ولكنّ المطَّلع على الكتاب يقبل ذلك. فالحقّ أنّ هذا الاختلاف مسوَّغ في بعض جوانبه؛ إذ إنّ منهج المَيْدَانِيّ في عرض أمثاله والشكل الذي طُبع به الكتاب أدّيا إلى هذا الاختلاف. ويُمكن أنْ نبيّن ذلك بما يلي:

– لا تُرَقَّم أمثال المَيْدَانِيّ في بعض طبعات الكتاب القديمة؛ كطبعات المطبعة البهيّة المصريّة، والمطبعة الخيريّة، والمعاونيّة الثقافيّة.

– في الطبعة التي اعتمدناها وهي بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ليس ثمّة ضابط دقيق في الترقيم. فهو ينتهي بالرقم 4765 آخر الباب الثامن والعشرين. ولا يُرقِّم الأمثال المُوَلَّدة ضمن كلّ باب، كما يعتمد على تفريق بعض الأمثال وتجميع أشباهها في الترقيم كما سنُوضّح في الفقرة التالية.

– النقص في الأمثال الرئيسة: وبسبب إغفال الترتيب الألفبائيّ ضمن الأبواب سقطت أمثال كثيرة أوردها المَيْدَانِيّ ضمن شروح الأمثال دون أنْ يضعها كأمثال رئيسة مثل غيرها. وقد ذكر علي أبو زيد أنّه تتبّعها فأحصى منها نحو 200 مثل نشرها –كما يقول- في كتاب (بحوث مهداة إلى مازن المبارك) (أبو زيد، 2002: 282). كما ذكر المَيْدَانِيّ في المُقدِّمة المثل (**المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**) للتدليل على طريقة ترتيبه. لكنّنا لا نجد له ذكرًا بعد ذلك كمَثَلٍ رئيسٍ في الكتاب، وإنّما ورد ذكره ضمن المثل: **1583- رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ**، كما ورد لفظ (المستشار) في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: لا تكتم المستشار خيرًا فَتُؤْتَ من قِبَل نفسك (المَيْدَانِيُّ، 1955: 450/2). وكذلك فعل في المثل (**المُحْسِنُ مُعَانٌ**) الذي ذكره شاهدًا في المُقدِّمة على طريقة الترتيب، ثمّ لم يذكره كمثلٍ رئيسٍ في الكتاب، بل ذكر قريبًا منه: **1156- أَحْسِنْ وأَنْتَ**

مُعَانٌ. وسوف نذكر ضمن هذا الجدول بعضًا من هذه الأمثال الواردة ضمن الشروح دون أنْ تُوضَع كأمثال رئيسة:

المثل الناقص	المثل الذي يرد ضمنه
وَلَّى/وَلِّي الثُّكْلَ بِنْتَ غَيْرِكِ	655- تَسْمَعُ بالْمُعْيِدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ
اِلْبَسْ لكلِّ حَالَةٍ لَبُوسَها ... إمَّا نَعِيمَهَا وإمّا بُؤْسَهَا	771- ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا وَلَدًا
حَبَّذَا كثرةُ الأيْدِيْ في غَيْرِ طَعَامِ	771- ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا وَلَدًا
هَلْ لَكَ فِيْ غَنِيْمَةٍ بَارِدَةٍ	771- ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا وَلَدًا
رُبَّمَا أَكَلَ الكَلْبُ مُؤَدِّبَهُ إِذَا لَمْ يَنَلْ شَبَعَهُ	868- جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ
لَا المَرْءُ فِي شَيْءٍ وَلَا اليَرْبُوْعُ	971- أَجْرَأُ مِنْ فَارِسِ خَصَافِ
أُصْدُقِيْ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْكَذُوْبِ رَأْيٌ	1025- حَنَّتْ وَلاَتَ هَنَّتْ وَأَنَّى لَكِ مَقْرُوعٌ
شَرٌّ في الْجُوَالِق	1250- خَطْبٌ يَسِيرٌ في خَطْب كَبِير
آخِرُ الدَّوَاءِ الكَيُّ	1546- رُبَّ أَخ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ
المَنْعُ كانَ أَوْجَزَ	1546- رُبَّ أَخ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ
رُبَّ فَرُوقَةٍ يُدْعَى لَيْثًا، ورُبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثًا	1555- رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا
اِسْتِيْ أَخْبَثَي	1782- سأَعِدَايَ أَحْرَزُ لَهُما. وأيضًا يرد مرّة أخرى ضمن: 2141- صَرَّ عَلَيْهِ الغَزْوُ اسْتَهُ
مَوْتُ الْحُرَّة خَيْرٌ مِنَ العَرَّة	1787- سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ
هَانَ عَلَيَّ الثُّكْلُ لِسُوْءِ الفِعْلِ	1787- سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ
أَنْتَ وَقَدْ آنَ لَكَ	2030- أَشْأَمُ مِنْ خَوْتَعَة
أَلَا فَتًى مَكَانَ عَجُوْز؟	2092- صَارَتِ الْفِتْيَانُ حُمَمًا
مَا كَانَ هَذَا في حِسَابِيْ	2112- صُغْرَاهُنَّ شُرَّاهُنْ
وَيْلٌ للشِّعْرِ مِنْ رَاوِيَةِ السُّوْءِ	3544- لاَ تُرَاهِنْ عَلَى الصَّعْبَةِ وَلاَ تَنْشِدِ القَرِيضَ
عَلَيْكَ بِجَعَرَاتِ أُمِّكَ يَا لُكَيْزُ	4650- يَحْمِلُ شَنٌّ وَيُفَدَّى لُكَيْزٌ

2. التجميع والتفريق

حقّق الطبعة التي اعتمدناها لكتاب المَيْدَانِيّ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله. والمحقّق معروف بجَوْدة تحقيقاته لكتب التراث العربيّ، تشهد له بذلك ألسنة المثقّفين، وتحقيقاته الكثيرة التي تزيد على 40 أثرًا، وعنايته بضبط النصّ وتصحيحه وكلّ ما يُقدّمه للعمل الذي يتولّى تحقيقه ممّا يدلّ على عمق ثقافته وعزيمته في إظهار العمل في أبهى مظهر يُميط عنه ما عَلِق به من مساوئ طبعات سابقة[1]. وقد أبان ما قدّمه لكتاب المَيْدَانِيّ بقوله في آخر ترجمته للمؤلّف: « وقد طُبع الكتابُ مرارًا في مصر، في بولاق وفي غير بولاق، ولم يظهر في طبعة من هذه الطبعات سليمًا من التحريف والتصحيف، بل شاع المسخ في طبعاته الحديثة حتى بَعُدَ عن أصله بُعْدَ الفيل من رَحِم الأَتَان، ولعلّنا - بعد أنْ حقّقنا أصله، وضبطنا غرائبه، ورقّمناه ترقيمًا دقيقًا - نكون قد أعدنا له بهاءه، وجَدَّدنا رُوَاءه، ونَفَيْنَا عنه عَبَث العابثين، ويَسَّرناه للانتفاع به» (المَيْدَانِيُّ، 1955: 1/ و).

لكنّنا كما ذكرنا قبل لا نجد معيارًا دقيقًا في الترقيم، ولم يصل الترقيم إلى 6000 مثل أو أكثر ليتطابق مع تحديد المَيْدَانِيّ لعدد أمثاله؛ فهو يُرقّم الأمثال القديمة والتي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ) ضمن تسلسل واحد، فيصل إلى الرقم 4765 آخر الباب الثامن والعشرين. ولا يُرقّم الأمثال المُوَلَّدة ضمن كلّ باب، وسوف نُشير في فقرة (الأمثال المُوَلَّدة) التي تأتي آخر مقالتنا إلى أنَّها 1008 أمثال، وقد وزّعنا على كلّ باب ما فيه من عدد هذه الأمثال. كما يعتمد المحقّق على تفريق بعض الأمثال وتجميع أشباهها في الترقيم ضمن الأبواب الثمانية والعشرين. وفي حين يُرقِّم أيّام العرب في الباب التاسع والعشرين فيصل إلى 132 لأيّام الجاهلية، و93 لأيّام الإسلام فإنّه لا يُرقِّم الأحاديث والأقوال الواردة في الباب الثلاثين.

أمّا عن التجميع والتفريق فإنّه يُعطي أرقامًا للأيّام المجموعة في الباب التاسع والعشرين؛ فيرد مثلًا أواخر أيّام الإسلام على الشكل الأتي:

86- يَوْمُ زَبَطْرَةَ

87- يَوْمُ فَخٍّ

88-93- يَوْمُ جَوْخَى، وَيَوْمُ الطَّفِّ، وَيَوْمُ الدَّارِ، وَيَوْمُ الجَمَلِ، وَيَوْمُ صِفِّينَ، وَيوْمُ النَّهْرَوانِ

فهو يذكر أرقامًا مفردة لأوّل يومين، وكذلك يُعطي للأيّام الستّة المجموعة في سطر واحد أرقامًا لها كلّها، ولا يكتفي بذكر الرقم 88 ليشملها به جميعها. وقد تكرّر ذلك في غير هذه من الأيّام المجموعة في أسطر واحدة.

أمّا في الأمثال فالأمر غلى خلاف ذلك، فإنّه يُعطي للأمثال المشتركة في صفة واحدة رقمًا واحدًا حينًا وأرقامًا متعدّدة حينًا آخر؛ فنجد مثلًا ترقيمًا يجري كما يأتي:

805- أَثْقَلُ مِنَ الرَّصَاصِ. / 806- ومِنَ الْحُمَّى. / 807- ومِنَ المُنْتَظِرِ. / 808- ومِنَ النُّضارِ. / 809- ومِنْ طَوْدٍ.

1 للوقوف على جهوده في التحقيق يُنْظَرُ: الطَّنَاحِيّ، 1984: 70-80.

فهو هنا يُعطي رقمًا لكلُ الأسماء الجديدة التي تشترك في الصّفة نفسها (أثقل) التي لا يُكرّرها في بداية كلّ مثلٍ طلبًا للاختصار. وهو يُعطيها أرقامًا متعدّدة على الرَّغْم من أنَّها كلمات قصيرة وليس فيها أي تفسير أو حكاية[1]. ولكنّنا في مكان آخر مثلًا نجد هذا الترقيم:

1904- أَسْـرَعُ مِنَ الرّيحِ، وَمِنَ البَرْقِ، وَمِنَ الإِشَـارةِ، وَمِنَ الْجَوَابِ، وَمِنَ البَيْنِ، وَمِنَ اللَّمْحِ، وَمِنَ الطَّرْفِ، وَمِنْ لَمْحِ البَصَـرِ، وَمِنْ طَرْفِ العَيْنِ، وَمِنْ رَجْعِ الصَّـدَى...، وَمِنْ رَجْعِ العُطَاسِ، وَمِنْ حَلْبِ شَاةٍ، وَمِنْ مَضْغِ تَمْرَةٍ، وَمِنْ لَمْعِ الكَفِّ...، ومن السَّمِّ الوَحِيِّ، وَمِنَ المَاءِ إِلَى قَرَارِهِ، وَمِنْ كَلْبٍ إِلَى وُلُوغِهِ...، وَمِنْ لَحْسَـةِ الكَلْبِ أَنْفَهُ، ومن لَفْتِ رِدَاءِ الْمُرْتَدِي، وَمِنَ السَّيْلِ إِلَى الْحُدُورِ، وَمِنَ النَّارِ فِي يَبِيْسِ العَرْفَجِ، وَمِنْ شَرَارَةٍ فِي قَصْبَاءَ، وَمِنَ النَّارِ تُدْنَيْ مِنَ الحَلْفَاءِ، وَأَسْرَعُ مِنْ دَمْعَةِ الْخَصِيِّ، وَمِنْ قَوْلِ قَطَاةٍ قَطَا.

1905- أَسْـمَعُ مِنْ حَيَّةٍ، وَمِنْ ضَـبٍّ، وَمِنْ قُنْفُذٍ، وَمِنْ دُلْدُلٍ، وَمِنْ صَـدًى، وَمِنْ فَرْخِ العُقَابِ.

1906- أَسْفَدُ مِنْ هِجْرِسٍ، وَمِنْ ضَيْوَنٍ، وَمِنْ دِيكٍ، وَمِنْ عُصْفُورٍ.

فكما نرى يجمع الكتاب أمثالًا كثيرة قد يصـل عددها إلى 25 مثل كما هي الحال في أوّل مثال ذي الرقم 1904. وهناك الكثير من هذه النماذج[2]. وبذلك فإنّ آليّة الترقيم ليست دقيقة، ولا تُقدّم العدد الحقيقيّ للأمثال ضمن الكتاب. فإذا فككنا هذه الأمثال المجموعة ضمن أرقام واحدة فسيزداد عدد الأمثال ليصبح أكثر من 5000 بدل الرقم 4765 الذي انتهى به الباب الثامن والعشرون. وإذا أضفنا الأمثال المُوَلَّدة البالغ عددها 1008 فسيصل العدد إلى أكثر من 6000 مثل، وهو العدد الذي يُحدّده المَيْدَانِيّ، دون أنْ نضطرّ إلى إقحام ما ورد في البابين الأخيرين لإكمال العدد؛ إذ إنّ المَيْدَانِيّ صرّح كما رأينا سابقًا أنّه جعل كتابه على نظام حروف المعجم؛ أي إنّ الأمثال هي التي في الأبواب الثمانية والعشرين. وأمّا البابان الأخيران فقد سبق أيضًا ذكرنا لإشارة المَيْدَانِيّ إلى الغاية منهما.

3. اختلاط الترتيب

أورد المَيْدَانِيّ بعض الأمثال في غير المكان الذي ينبغي له وضعه فيه بحسب منهجه الذي وضّحه في المُقدِّمة. ومن ذلك المثل: **2527- المُعْتَذِرُ أَعْيَا بِالقِرَى**؛ فهذا المثل وفق ضابطه عن المثلين **(المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)** و**(المُحْسِنُ مُعَانٌ)** يجب أنْ يكون في باب الميم، ولكنّه نسي ضابطه أو أهمله، وعاد إلى أصول الكلمة، فوضعه ضمن باب العين.

وأكثر ما نجد الاختلاط في الترتيب هو في الأمثال المبنيّة على وزن (أَفْعَلُ مِنْ) والأمثال المُوَلَّدة:

1.3. الاختلاط في ترتيب أمثال (أَفْعَلُ مِنْ):

1 ومنها أيضًا على سبيل المثال الأمثال : 409-410، 411-416، 417-418، 420-423، 424-425، 1352-1353... ففي كلّ مجموعةٍ من هذه الأمثال يُعطي أرقامًا جديدة لكلّ اسم جديد على الرَّغم من الاشتراك في الصّفة نفسها.

2 يُنْظَرُ على سبيل التمثيل لا الحصر الأمثال المجموعة ضمن كلّ رقم من الأرقام الآتية: 419، 427، 575، 590، 595، 597، 598، 600، 602، 608، 1002، 1173، 1187، 1211، 1222، 1223، 1224، 1225، 1226، 1228، 1229، 1234، 1236، 1512، 1518، 1718، 1893، 1909، 2044، 2045، 2191، 2192، 2193، 2194، 2195، 2197، 2198، 2257، 2259، 2260، 2261، 2262، 2339، 322، 4183، 4186...

بيّن المَيْدَانِيّ في مُقدِّمته كيفيّة بناء كلّ باب من أبواب كتابه؛ فهو يبدأ بالأمثال الفصيحة، ثم بالتي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ)، ثم يختم الباب بالأمثال المُوَلَّدة. وقبل أن يذكر الأمثال التي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ) أوّلَ مرّة في باب الألف كتب توضيحًا طويلًا عن صيغة التفضيل وصورها الثلاث التي تُشكِّل صيغة (أَفْعَلُ مِنْ) واحدة منها، وقبل أنْ ينتهي من هذا التوضيح قال: «وقد شذّ أحرف يسيرة في كتابي هذا عن باب أَفْعَلُ مِنْ كذا كان من حقّها أنْ تكون فيه، نحو قولهم: أقبح هزيلين المرأة والفرس، وأسوأ القول الإفراط، وأشباههما، لكنّها لَمّا زالت عن أماكنها تَجَوَّزتُ فيها إذ لم تكن مقرونةً بمن ... ولا شكّ أنّ الجميع في حكم أفعل التفضيل» (المَيْدَانِيُّ، 1955: 85/1)؛ لذلك لا يَضير الكتاب إذا وجدنا هذه الأمثال المبنيّة على وزن (أَفْعَلُ مِنْ) خارج (باب ما جاء على وزن أَفْعَلُ من هذا الباب) الذي يُخصّصه لأمثال هذا الوزن إذا لم تكن كما نصّ المؤلّف مقرونة بـ(من)، ومن هذه الأمثال: **الرَّشْفُ أَنْقَعُ، أَزْهَدُ النَّاسِ في العَالِمِ جِيْرَانُهُ، اِسْتُ البَائِنِ أَعْلَمُ، اِسْتُ المَسْؤُوْلِ أَضْيَقُ**... (المَيْدَانِيُّ، 1955: 303/1، 325، 332، 341).

كما نجد أمثالًا خارج قسمها على الرَّغْم من اقترانها بـ(من). مثل: **رُبَّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ، رُهْبَاكَ خَيْرٌ مِنْ رُغْبَاكَ، رُبَّ شَانِئَةٍ أَحْفَى مِنْ أُمّ، رُبَّ طَرْفٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسانٍ، رُبَّ عَيْنٍ أَنَمُّ مِنْ لِسانٍ، اِسْتُهُ أَضْيَقُ مِنْ ذُلك**... (المَيْدَانِيُّ، 1955: 290/1، 298، 302، 306، 314، 332). والسبب كما نظنّ هو ورود المفضَّل في مثل هذه الأمثال، وهو ما أخَّر صيغة (أَفْعَلُ مِنْ) عن صدارة المثل، في حين تقتصر صيغة (أَفْعَلُ مِنْ كذا) على أفعل التفضيل والمفضَّل عليه، ويكون أَفْعَل في صدر المثل.

فورود هذه الأمثال وغيرها خارج القسم المخصّص لها مقبول في جانب منها؛ لأنَّ المَيْدَانِيّ أشار إليه وبيَّن سببه.

2.3. الاختلاط في ترتيب الأمثال المُوَلَّدة:

إذا كنّا قد وجدنا بعض أمثال (أَفْعَلُ مِنْ) مرتّبة خارج مكانها المحدّد وقبلنا ذلك لأنَّ المَيْدَانِيّ قد نبّه على هذا الأمر فإنّنا نجد بعض الأمثال المُوَلَّدة أيضًا خارج مكانها المخصّص، ولكنْ من دون أنْ يُنبّه المَيْدَانِيّ على ذلك على الرَّغْم من أنّه هو نفسه يُشير في تفسيرها إلى أنَّها مُوَلَّدةٌ، ولكنّ عدد هذه الأمثال على كلّ حال قليل يبلغ ثمانية فقط، وليست بكثرة ما خرج من أمثال (أَفْعَلُ مِنْ). ولا نقصد هنا أنّ المَيْدَانِيّ قد وضع هذه الأمثال في غير بابها، بل نقصد أنّه لم يضعها ضمن القسم المخصّص لها ضمن الباب؛ فقد أسلفنا أنّه يضع الأمثال القديمة في أوّل الباب، ثمّ أمثال (أَفْعَلُ مِنْ)، ثمّ الأمثال المُوَلَّدة. وهذه الأمثال هي (المَيْدَانِيُّ، 1955: 116/1، 185، 256، 284. 51/2):

المثل	التفسير
أَبْأَي مِمَّنْ جاءَ بِرَأْسِ خَاقَان	يقول المَيْدَانِيّ نقلًا عن حمزة الأَصْبَهَانِيّ: هذا مَثَل مُوَلَّد حكاه المُفَضَّلُ ابن سَلَمَة... والعامّة تقول **"كَأَنَّهُ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ"**. كما يذكر المَيْدَانِيّ هذا المثل مرّة أخرى برقم 892 برواية: **جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ**. وهو يكتفي فيه بالإحالة على المثل الأوّل

أَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ	يقول المَيْدَانِيّ: زعم أبو عُبَيْدَةَ أنّ هذا المثل مُوَلَّد...
أَخْسَرُ مِنَ مَغْبُوْنٍ	يقول المؤلّف: مثل مُوَلَّد، ويقولون في مثل آخر: **في اسْتِ المَغْبُونِ عُود**
هُوَ كَشُوْثُ الشَّجَر	يرد بوصفه من مُوَلَّد الأمثال ضمن المثل: 1503- **أَذَلُّ مِنْ فَقْعٍ بِقَرْقَرَةٍ**
أَعْمَرُ مِنْ مُعَاذٍ	يقول عنه: هذا مثل مُوَلَّد إسلاميّ

فهذه خمسة أمثال في الترتيب، واثنان ضمن الأوّل، وواحد ضمن الثالث، فتصبح عِدَّتُهَا ثمانيةَ أمثالٍ، كلّها أمثال مُوَلَّدةٌ لم يذكرها المَيْدَانِيّ في قسم أمثال المُوَلَّدِيْن، وإنّما ذكرها ضمن الأمثال التي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ)؛ أي ضمن الأمثال الفصيحة.

4. التَّكْرار

لعلّ أخطر مآخذ الترتيب هي (التَّكْرار)؛ فقد كان لعشوائيّة الترتيب ضمن الأبواب أثرٌ كبير في تَكْرار كثير من الأمثال، ومن صور هذا التَّكْرار:

1.4. تَكْرار أمثال بلا أدنى تغيير:

فثمّة أمثال تكرّرت في الكتاب كما هي بلا تغيير أيٍّ من ألفاظها. وأحيانًا يكون التَّكْرار مُسَوَّغًا لتماثله مع غيره في مَضْرِبِه، وأحيانًا ربّما كان بسبب السهو أو عدم المُرَاجعة أو بأيدي النُّسَّاخ الذين كتبوا مخطوطات كتابه. ومن أمثلة ذلك:

المثل	مورد التَّكْرار
رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ	ورد برقم 1546 و1595، وضمن المثل 1638
أَضَلُّ منْ يَدٍ في رَحِمٍ	ورد برقم 2244 و2252
اِقْلِبْ قَلَابِ	ورد برقم 2849 و2949. وفي الموضع الثاني يزيد في تفسيره وحكايته
لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ الله وَالنَّاس	ورد كمثل فصيح برقم 3664. ثم ورد في الباب نفسه كمثل مُوَلَّد ضمن الأمثال المبدوءة باللام
اقْصِدْ بِذَرْعِكَ	يرد برقم 2836، كما يرد ضمن المثل: 1553- **اِرْقَ عَلَى ظَلْعِكَ**
الضَّجُورُ قَدْ تَحْلُبُ العُلْبَةَ	يرد برقم 2208، كما يرد ضمن المثل: 2915- **قَدْ يُمْتَطَى الصَّعْبُ بَعْدَ ما رَمَحَ**

2.4. تَكْرار أمثال مع بعض التغيير:

وأمثلة هذا النوع كثيرة. ومنها:

المثل	مورد التَّكْرار

218- أَيْنَمَا أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْدًا	526- **بِكُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ**. 2797- **فَي كلّ أَرْضٍ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ**
209- إِنَّكَ لا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ	2644- **أَعْجَزُ مِنَ جانِي العِنَبِ مِنَ الشَّوكِ**. 3582- **لاَ تَجْنِ مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ**. 4116- **مَنْ يزرَعِ الشَّوْكَ لاَ يَحْصُدْ بِهِ العِنَبَا**
582- أَبْأَي مِمَّنْ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ	يرد ضمنه المثل العاميّ: **كَأَنَّهُ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ**. ويرد أيضًا: 892- **جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ**. وضمن هذا يذكر المثل 582 أيضًا
1226- أَحْيَرُ مِنْ يَدٍ في رَحِمٍ	1497- **أَذَلُّ مِنْ يَدٍ في رَحِمٍ**. 2244- **أضعَفُ منْ يَدٍ فِي رَحِمٍ، وَأَضَلُّ منْ يَدٍ فِي رَحِمٍ**. 2252- **أَضَلُّ مِنْ يَدٍ فِي رَحِمٍ**. 2597- **أَعْيَا مِنْ يَدٍ فِي رَحِمٍ**
4182- أَمْحَلُ مِنْ التُّرَّهَاتِ	4630- أَهْلَكُ مِنْ تُرَّهَاتِ البَسَابِسِ. 4633- أَهْوَن مِنْ تُرَّهَاتِ البَسَابِسِ

وقد تتبّع أحد الباحثين أمثال المَيْدَانِيّ فاستخرج –كما يقول- الأمثال المكرّرة، ووضع مسردًا ذكرها فيه مفصّلة. وقد بلغ عدد الأمثال التي أحصاها 89 مثلًا مكرّرًا (أبو زيد، 2002، 281 و285-289). ولكنّ الناظر فيما جمع يجد قصورًا عن الإحاطة، فليست كما يذهب شاملة مفصّلة؛ ففي الأمثال السابقة التي ذكرناها في الجدول أعلاه لا يذكر صورها كلّها. كما سنُثبت ها هنا 15 مثلًا أُخَرَ لم يذكرها الباحث البتّة، وسنكتفي بها طلبًا للاختصار:

المثل	مَوْرِدُ التَّكْرار
507- أَبْدَي الصَّرِيحُ عَنِ الرَّغْوَةِ	ورد: 2145- **الصَّرِيْحُ تَحْتَ الرُّغْوَةِ**. وقريب من معناه: 511- **بَرَزَ الصَّرِيْحُ بِجَانِبِ المَتْنِ**. ونجد: (**وتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيْحُ**) ضمن شعر مذكور ضمن المثل: 2185- أَصْوَلُ مِنْ جَمَلٍ
508- أَبَرَمًا قَرُونًا	3723- **أَلْأَمُ مِنَ البَرَمِ**. 3724- **أَلْأَمُ مِنَ البَرَمِ القُرُوْنِ**
145- إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ العَصا	592- **أَبْقَى مِنْ تَفَارِيْقِ العَصَا**. 3215- **أَكْثَرُ مِنْ تفَارِيْقِ العَصَا**. وفي المثلين الأخيرين يُحيل المَيْدَانِيّ على المثل 145 للوقوف على التفسير
599- أَبْقَى مِنْ وَحْيٍ في حَجَرٍ	4429- **وَحْيٌ فِي حَجَرٍ**
567- أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ	1380- **أَخْطَبُ مِنْ قُسٍّ، وَأَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ**
597- أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَفَرَقِ الصُّبْحِ	2045- **أَشْهَرُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ**. 2073- **أَشْهَرُ مِنَ الصُّبْحِ**. 2262- **أَضْوَأُ مِنَ الصُّبْحِ**. 2315- **أَطْوَلُ مِنَ الصُّبْحِ**. ويروى"من الفَلَق" أيضًا. 4299- **أَنَمُّ مِنَ الصُّبْحِ**

810- أَثْبَتُ مِنْ قُرَادٍ	995- **أَجْوَعُ مِنْ قُرَادٍ**. 1878- **أَسْمَعُ مِنْ قُرَادٍ**. 2632- **أَعْمَرُ مِنْ قُرَادٍ**. 2652- **أَعْلَقَ مِنْ قُرَادٍ**
1010- أَجْهَلُ مِنْ رَاعِيْ ضَأْنٍ	1194- **أَحْمَقُ مِنْ رَاعِيْ ضَأْنٍ ثَمَانِيْنَ**. وضمن هذا يرد: **أَحْمَقُ مِنْ طَالِبِ ضَأْنٍ ثَمَانِيْنَ**، وأيضًا: **أَشْقَى مِنْ رَاعِيْ ضَأْنٍ ثَمَانِينَ**، وأيضًا: **أَشْغَلُ مِنْ مُرْضِعِ بَهْمٍ ثَمَانِيْنَ**. ويرد كأمثال رئيسة أيضًا: 2056- **أَشْقَى مِنْ رَاعِيْ بَهْمٍ ثمَانِيْنَ**. 2081- **أَشْغَلُ مِنْ مُرْضِعِ بَهْمٍ ثَمَانِيْنَ**
1197- أَحْمَقُ مِنْ نَعْجَةٍ عَلَى حَوْضٍ	2625- **أَعْجَلُ مِنْ نَعْجَةٍ إلى حَوْضٍ**
473- بَيْضَةُ البَلَدِ	يرد نفسه ضمن: 1198- **أَحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ**. وهناك أيضًا: 1511- **أَذَلُّ مِنْ بَيْضَةِ البَلَدِ**. 2259- **أَضْيَعُ مِنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ**. 2806- **أَفْسَدُ مِنْ بَيْضَةِ البَلَدِ**
73- أَخَذَتِ الإِبِلُ أَسْلِحَتَها	250- **إِنَّها الإِبِلُ بِسَلاَمَتِهَا**. 253- **أَخَذَتِ الإِبِلُ رِمَاحَهَا**. وقريب منها: 2503- **عِنْدَ رُؤُوسِ الإِبِلِ أَرْبَابُها**
1365- أَخْزَى مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ	2029- **أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ**. 2058- **أَشَحُّ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ**
1345- أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ	4070- **مَوَاعِيْدُ عُرْقُوْبٍ**. وهذا يرد أيضًا ضمن: 1346- **أَخْلَفُ مِنْ شُرْبِ الكَمْأَةِ**
1363- أَخْيَبُ مِنْ حُنَيْنٍ	1568- **رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ**. ويرد هذا ضمن الأوّل أيضًا. ويرد ضمن الأمثال المُوَلَّدة المبدوءة بالغين: **غَابَ حَوْلَيْنِ وَجَاءَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ**.
1220- أَحْذَرُ مِنْ قِرِلَّى. وأَحْزَمُ أيضًا	1378- **أَخْطَفُ مِنْ قِرِلَّى**. وضمن هذا نجد أيضًا: **أَحْذَرُ مِنْ قِرِلَّى، وأَحْزَمُ مِنْ قِرِلَّى، وأَطْمَعُ مِنْ قِرِلَّى**. ويرد: 2336- **أَطْمَعُ مِنْ قِرِلَّى**. ويُحيل هنا على المثل 1378. ونجد أيضًا: 2717- **أَغْوَصُ مِنْ قِرِلَّى**

3.4. الأمثال المتفرّعة عن قصة واحدة:

فقد ترد ضمن حكاية واحدة أمثال عدّة، يجعلها المؤلّف أيضًا كلّها أو أكثرها أمثالًا رئيسةً في مواضع أخرى. ويُسمّي أحد الباحثين هذه الأمثال (الأمثال العُنقوديّة) (الضَّبِّيّ، 1983: 40). من ذلك مثلًا قصص الزَّبَّاء وبَيْهَس ولُقْمَانَ ومَنْشِمَ وحرب دَاحِس والغَبْرَاء وحُنَيْنٍ وعُرْقُوبٍ وذات النِّحْيَيْن وغيرها. وقد مرّت في الفقرة السابقة الأمثال الخاصّة بآخر ثلاث قصص. وأمّا قصّة الزَّبَّاء مثلًا فإنّ المَيْدَانِيّ يُفصّلها في المثل: **1250- خَطْبٌ يَسِيْرٌ فِي خَطْبٍ كَبِيْرٍ**. وضمن الحكاية ترد أقوال صارت –كما يقول المؤلّف- أمثالًا، وأكثرها يرد أمثالًا رئيسةً ضمن الكتاب، وهي: 431- **بِبَقَّةَ صُرِمَ الأَمْرُ**. 640- **تَمَرَّدَ مارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَقُ**. 1960- **أَشْوَارَ عَرُوْسٍ تَرَى**.

2435- **عَسَــى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًــا.** 2596- **أَعَزُّ مِنَ الزِّبَّاءِ.** 2788- **اِفْعَلْ كَذَا وخَلاَكَ ذَمٌّ.** 3366- **لِأَمْرٍ مَّا جَدَعَ قَصِــيْرٌ أَنْفَهُ.** 3594- **لَا يَحْزُنْكَ دَمٌ هَرَاقَهُ أَهْلُهُ.** 3646- **لَا يُطَاعُ لِقَصِــيْرٍ أَمْرُهُ.** 3981- **مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ.** 4166- **أَمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الجَوِّ.** 4642- **يَا ضُلَّ ما تَجْرِيْ بِهِ العَصَا.**

وكذلك تحتوي قصّــة بَيْهَس أمثالًا عدّة. وقد أورد المؤلّف الحكاية بطولها في المثل: **771- ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا وَلَدًا**. ثم انفردت عنه هذه الأمثال الواردة ضــمن الحكاية: 1190- **أَحْمَقُ من بَيْهَسٍ.** 2407- **عَرَفْتُنِي نَسَــأَها الله.** 3228- **لَوْ خُيِّرْتَ لَاخْتَرْتَ.** 3470- **لَكِنْ عَلَى بَلْدَحَ قَوْمٌ عَجْفَى.** 4117- **مُكْرَهٌ أَخُوْكَ لَا بَطَلٌ.** 4686- **يَا حَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلَا الذِّلَّةُ**. ومن الأمثال التي ترد ضمن هذه القصّة ثمّ لا يضعها المؤلّف كأمثال رئيسة: **لَكِنَّ بِالْأَثَالِثِ لَحْمًا لَا يُظَلَّل. اِلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوْسَها ... إِمَّا نَعِيْمَهَا وإِمَّا بُؤْسَهَا. حَبَّذَا كَثْرَةُ الأَيْدِيْ فِي غَيْرِ طَعَامٍ. لَا تَأْمَنِي الأَحْمَقَ وفِي يَدِهِ سِكِّيْنٌ.**

فهذه الأمثال ضمن كلّ قصة ترد ضمن حكاية شاملة تجمع أجزاءها لتُشكّل قصّة مترابطة المعاني، ثمّ ترد أكثر الأقوال الأيْقُونيّة التي اكتسبت صفة المثل لبلاغتها ضمن أرقام خاصّة تنفرد بها.

ترتيب المُسْتَقْصَى في أمثال العرب

اعتمد الزَّمَخْشَــرِيّ ترتيب أمثاله كلّها بحســب أوائل الكلمات[1] مراعيًا توالي الحروف؛ ليسهل الرجوع إلى المثل المطلوب في كتابه. وقد شرح ذلك في مُقدِّمته مبسّطاً (الزَّمَخْشَرِيّ، 1962: 1/ج-د)، ويُمكن تِبْيان مَنْهج الزَّمَخْشَرِيّ في الترتيب من خلال النقاط الآتية:

1. رتّب الزَّمَخْشَرِيّ أبواب الكتاب ترتيبًا ألفبائيًّا في 28 بابًا مُقدِّمًا باب الواو على الهاء.

2. قسّم كلّ باب إلى فصول بعدد حروف الهجاء أيضًا؛ فأوّل باب مثلًا، وهو باب الهمزة، يبدأ بفصل (الهمزة مع الألف)، ثمّ فصل (الهمزة مع الباء)، ثمّ فصل (الهمزة مع التاء)، وهكذا إلى آخر الحروف الهجائيّة. وهو يُقدّم أيضًــا فصــل الواو على الهاء. وبذلك فهو يُرتّب الأمثال ضــمن كلّ باب مراعيًا ثواني الحروف وثوالثها. فالأمثال (الزَّمَخْشَــرِيّ، 1962: 2/32-33): **تَمَامُ الرَّبِيْعِ الصَّــيْفُ/ تَمْرَةٌ وَزُنْبُوْرٌ/ تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَقُ/ تَمَنَّعِيْ أَشْــهَى لَكِ/ تَنْزُوْ وَتَلِيْنُ/ تَنْهَانَا أُمُّنَا عَنِ الغَيِّ وَتَغْدُوْ فِيْهِ/ تَوَقَّرِيْ يَا زَلِزَةُ/ تَهُمُّ وَيُهِمُّ بِكَ**. تلتزم بالترتيب الهجائيّ الدقيق بالنظر إلى أحرف الكلمات الأوّلى: تَمام/ تَمْرَة/ تمرّد/ تمنّعي/ تنزو/ تَنْهَانَا/ توقّري/ تَهُمّ. وأوّل أربع كلمات يتّفق فيها أوّل حرفين؛ ولذلك كان المعيار هو الحرف الثالث الذي كان: ا ر ر ن على التوالي، ولمّا كان الرّاء هو الثالث في كلمتين فقد نُظر إلى الحرف الرابع فيهما: ة د. كما نرى تقدُّم فصل الواو على الهاء في (توقّري) و(تَهُمّ).

3. إذا اتّفقت الأمثال في حروف الكلمة الأوّلى نظر إلى الكلمة الثانية فالثالثة إلى آخر المثل كما في الأمثال (الزَّمَخْشَــرِيّ، 1962: 2/45): **جَاءَ نَاشِــرًا أُذُنَيْهِ/ جَاءَ وَعَلَى حَاجِبِهِ صُوْفَةٌ/ جَاءَ وَفِيْ رَأْسِهِ خُطَّةٌ/ جَاءَ وَقَدْ قَرَضَ رِبَاطَهُ/ جَاءَ وَقَدْ لَفَظَ لِجَامَهُ/ جَاءَ يَجُرُّ بَقَرَهُ/ جَاءَ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ.** ولما كانت الكلمة الأوّلى (جاء) هي نفسها في الأمثال السابقة كلّها فهو لا يكتبها ما دامت لا تُؤدّي إلى لبس؛ ولذلك فالأمثال السابقة ترد بلا كلمة (جاء) التي يُعوِّض منها بنقاط،

1 ثمّة فرق بين قولنا (بحسب أوائل الكلمات) وقولنا (بحسب أوائل أصول الكلمات) التي مرّت في الفقرة السابقة؛ فوَفْقَ العبارة الأولى تأتي كلمة (انطلق) مثلًا في أوّل باب؛ أي باب الهمزة، أمّا وَفْقَ العبارة الثانية فترد في باب الطّاء؛ لأنّ أصلها المجرّد من أحرف الزيادة هو (طلق).

فترد في الكتاب هكذا: **جَاءَ نَاشِـرًا أُذُنَيْهِ/ .. وَعَلَى حَاجِبِهِ صُـوْفَةٌ/ .. وَفِيْ رَأْسِـهِ خُطَّةٌ/ .. وَقَدْ قَرَضَ رِبَاطَهُ/ .. وَقَدْ لَفَظَ لِجَامَهُ/ .. يَجُرُّ بَقَرَهُ/ .. يَجُرُّ رِجْلَيْهِ.**

4. ترتيب الأمثال وفق اللفظ المكتوب دون النظر إلى الأصـول المجرّدة للكلمات؛ فالمثل: **الشَّـرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ**، يرد في الجزء الأوّل في باب الهمزة؛ لأنّه يعتدّ بـــ(أل) في الترتيب، أمّا المثل: **شَـرُّ إِخْوَانِكَ مَنْ لَا تُعَاتِبُ**، فيرد في باب الشين في الجزء الثاني من الكتاب على الرَّغْم من أنّ (الشـرّ) و(شـرّ) كلمة واحدة. ولكنّ هذه الطريقة هي التي تُؤدّي إلى هذا التشتيت للألفاظ والأمثال المتشابهة.

والحقّ أنّ هذا الترتيب يُسـهّل على الباحث الوصـول إلى المثل المطلوب دون كثير جهد، ولكنّه – كما تقدّم- لا يتناسب مع طبيعة اللغة العربيّة التي تعتمد على التصريف والاشتقاق. في حين تُناسـب هذه الطريقة اللغات الإلصـاقيّة التي تعتمد على اللواحق فلا تتغيّر فيها الأحرف الأوّلى؛ ففي اللغة التركيّة مثلًا حين تُرتَّب الكلمات:

Yaz yazar yazarlık yazdırma yazdırmak yazı yazgı yazı yazıcı yazıcılık yazıhane

وَفْقَ أوائل الحروف تظلّ متتابعة في الباب نفسـه ومترابطة فيما بينها من ناحية المعنى. أمّا لو أردنا أنْ نُرتّب كلمات متشابهة في اللغة العربيّة بحسب أوائل الكلمات لا أوائل الأصول؛ من مثل: سلام تسلّم تسليم استلم مسلم إسلام استلام استسلام، فسوف تتوزّع في أربعة أبواب؛ هي باب الهمزة والتاء والسين والميم، ولن يستطيع القارئ ربط المعاني فيما بينها ولا الاطّلاع على الصـور الممكن اشـتقاقها من اللفظ. وللتعويض من ذلك لجأت المعاجم العربيّة منذ القديم؛ سـواء التي تُرتّب الألفاظ بحسـب الأواخر أم الأوائل إلى الترتيب وَفْقَ المادّة اللغويّة أو الأصـل اللغويّ الذي يعتمد على الميزان الصَّـرفيّ بتجريد الكلمة من حروف الزيادة فيها؛ للحفاظ على وحدة اللغة وألفاظها ضـمن النسـق الطبيعيّ المترابط؛ فالكلمات السـابقة كلّها تنتمي إلى الأصـل اللغويّ المجرّد (سلم)؛ ولذلك نجد الكلمات السابقة ضمن المادّة الرئيسة (سلم) في كلّ المعاجم العربيّة[1].

ولكن على كلّ حال لا يُعدّ ترتيب معجم الأمثال كترتيب معجم الألفاظ؛ فإذا كانت معاجم الألفاظ تُمزّق وحدة اللغة التي من المفترض بها أنْ تجمع ألفاظها وتخدمها فإنّ معجم الأمثال يقتصـر على تشـتيت بعض الأمثال فحسـب. وهو يُرَتِّب الأمثال التي هي جمل تحوي ألفاظًا عدة من أصـول مختلفة لا لفظًا واحدًا، في حين أنّ معجم الألفاظ ينثر الألفاظ المترابطة ذات الأصـل الواحد ويقطع عقد المعاني المنظوم.

مآخذ على ترتيب المُسْتَقْصَى

يلتزم الزَّمَخْشَـرِيّ ترتيبَه الألفبائيّ كما رأينا ضـمن الأبواب والفصـول. غير أنّه ثمّة بعض المواضع التي يخرج فيها على ما قرّره لنفسه، وسنُبيّن ذلك وَفْقَ ما يأتي:

1 عمدت بعض المعاجم اللبنانيّة المعاصـرة إلى الترتيب بحسـب النطق واللفظ المكتوب؛ أي كما فعل الزَّمَخْشَـرِيّ في المُسْـتَقْصَـى، ومن هذه المعاجم: (المَرْجِعُ) لعبد الله العلايلي، و(الرائِدُ) لجُبْرانَ مسـعود، ولكنّ هذه الطريقة لم تلقَ قَبول أهل الاختصـاص من أدباء ولغويّين وغيرهم؛ لأنّها تُمزّق وحدة اللغة العربيّة وتقضي على أهمّ ميّزاتها؛ وهي الاشتقاق. يُنْظَرُ: فاخُوريّ، 1998: 117-119.

1. يجعل حرف الألف المقصورة بمنزلة حرف الياء في الترتيب، ولا يجعل موضعها بعد اللام كما هو في ترتيب الحروف الهجائيّة. فمثلًا يرد في الجزء الأوّل:

274- أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَف

275- أَحْلَمُ مِنْ فُرْخِ العُقَاب

276- أَحْلَى مِنَ التَّمْر

فهو هنا يُقدّم حرف الميم عليها. وهو يُقدّم كلّ الحروف عليها أينما وردت في الكتاب؛ لأنّه يجعلها كالياء.

2. يجعل الحرف المشـدّد حرفين في مواضـع وحرفًا واحدًا في مواضـع أخرى؛ فمن الحالة الأوّلى نجد في الجزء الثاني:

674- قُوْلُوا بِقَوْلِكِمْ وَلَا يَسْتَجْزِيَنَّكُمُ الشَّيْطَان

675- قَوِّرِيْ وَالْطُفِيْ

فقد أخذ بالاعتبار الواو المشدّدة (قَوِّرِيْ) حيث تُكتب الكلمة بحسب النطق: (قَوْوِرِيْ)؛ ومن ثمّ قدّم عليها كلمة (قولوا)؛ لأنَّ اللام قبل الواو(الثانية) في ترتيب الحروف. ولو لم يعتدَّ بالحرف المشـدّد؛ أي لو عدّ الحرف المشـدّد حرفًا واحدًا لوضـع المثل الثاني قبل الأوّل؛ لأنَّ الرّاء حينئذ قبل اللام.

ومن الحالة الثانية نجد في الجزء الأوّل:

475 - أَدْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ

476 - أَدَّى قِدْرًا مُسْتَعِيْرُهَا

فهو هنا لا يعتدّ بالحرف المشـــدّد في (أدّى)، ولو أخذ به لجاء المثل قبل قرينه؛ إذ الدّال (الثانية) قبل الهاء في ترتيب الحروف.

3. لا يجعل الكلمة الأقصر دائمًا قبل الأطول. فنجد في الجزء الأوّل:

1910 - أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

1911 - إِيَّاكِ أَعْنِيْ فَاسْمَعِيْ يَا جَارَهْ

حيث جعل (أيّ) قبل (إيّاك)؛ لأنَّ حروفها أقل، وهذا هو الأصـــل في الترتيب الدقيق الذي يعتمد على مراعاة التوالي.

لكن نجد أيضًا في الجزء الثاني:

504 - طَارَتْ بِهِ عَنْقَاءُ مُغْرِبٌ

505 - طَارَتْ عَصَاهُمْ شِقَقًا

506 - طَارَ طَائِرُهُ

فوضـــع (طار) في المثل الثالث بعد (طارت) في المثلين قبلها على الرَّغْم من أنّ حروفها أقلّ بخلاف ما فعل في الحالة الأوّلى.

وقد يختلط الأمران في موضع واحد، كما نرى في هذه الأمثال في الجزء الثاني:

321 - رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الغُلَامِ

322 - رَأَيْتُهُ بِأَخِي الخَيْرِ

323 - رَأَيْتُهُ بِهَذَا البَلَدِ عَنْبَرِيًّا

324 – رَأْيٌ فَاتِرٌ وَغَدْرٌ حَاضِرٌ

325 - رَأَى الكَوَاكِبَ مُظْهِرًا

فقد قدّم ذكر الكلمة الأقصر (رأي)، ثم ذكر ما يبدأ بـ(رأيته)، ثم عاد إلى الكلمة الأوّلى.

ومن صور الاختلاط أيضًا ما نجده في الجزء الثاني:

1526 - يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوْكَ نَفَخَ

1527 - يُدَالُ مِنَ البِقَاعِ كَمَا يُدَالُ مِنَ الرِّجَالِ

1528 - يَدٌ تَشُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُوْنِيْ

1529 - يَدَعُ العَيْنَ وَيَتْبَعُ الأَثَرَ

فوضع (يد) في المثل الثالث بعد (يداك) و(يدال) على الرَّغْم من أنّ حروفها أقل، ثم وضع كلمة أطول منها (يدع) في المثل التالي.

4. قد يتداخل الترتيب عنده في بعض المواضـــع فلا يلتزم الترتيب الهجائيّ بدقّة. ففي الجزء الأوّل يأتي المثلان:

699 - أَسْمَنُ مِنْ دُبٍّ

700 - أَسْمَنُ مِنْ يَغْرُو

قبل المثل:

701 - أَسْمَحُ مِنْ لافِظَةٍ

أي جعل النون في (أَسْمَنُ) قبل الحاء في (أَسْمَحُ). وكان الواجب أن يُوضعا بين المثلين:

714 - أَسْمَعُ مِنْ كَلْبٍ

715 - أَسْوَأُ القَوْلِ الإِفْرَاطُ؟

وكذلك نجد في الجزء الثاني أنّ المثل: **728 - كَحِمَارِ الْعِبَادِيّ**. يأتي قبل **المثل: 729 - كَحَسْوِ الدِّيْكِ**. والواجب أنْ يكون بعده؛ لأنَّ الميم بعد السّين وليس العكس.

5. وهناك أخطاء في الترقيم بســـبب الطباعة أيضًـــا[1]، ففي الجزء الأوّل يُكتَب الرقم 1577 بدلًا من الرقم 1578. وكُتب الرقم 167 مرتين، ولم يُكتب في المتن 168 على الرَّغْم

1 أمّا أخطاء الطباعة فتلك قضـيّة أخرى ليس ها هنا مجال الحديث عنها. والطبعة التي اعتمدناها للمُسْـتَقْصَـى هي طبعة دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدكن في الهند الصـادرة عام 1962م. والحقّ أنّ أخطاءها قضـيّة واسـعة تحتاج مقالة منفردة للوقوف على ما فيها من أخطاء كثيرة، ولا سـيما حين يُقارن المحقّقُ أمثالَ (المُسْـتَقْصَـى) بأمثال (مَجْمَع الْأَمْثَالِ) وغيره؛ فهناك مئات الأمثال ذكرت الطبعة في حواشـيها أنّها ليسـت في كتاب المَيْدَانِيّ على الرَّغم من وجودها بروايتها نفسها أو روايات قريبة منها. وغير ذلك من الأخطاء المتعلّقة بإعجام الحروف وضبط الحركات وسوى ذلك. وهذه المطبعة على كلّ حال هي من أهمّ قلاع نشـر التراث العربيّ منذ أن تأسّـسـت عام 1888م، وقد نشـرت كثيرًا من المخطوطات العربيّة التي رأت النور أوّل مرّة فيها؛ ولذلك فمن الطبيعيّ ألّا تخلو من الأخطاء. ولكنّ المشـــكلة في من يأتي بعدها فيُصـــوّر طبعتها دون تصـــحيح أو تحقيق. وقد فعلت ذلك دار الكتب

من كتابته في الحاشـية. وكذلك كُتب 197 مرّتين، ولم يُكتب 198 على الرَّغْم من كتابته في الحاشية أيضًا.

خاتمة

قام البحث على عقد مقارنة بين أهمّ كتابين في الأمثال العربيّة، وهما كتابا المَيْدَانِيّ (مَجْمَعُ الأَمْثَالِ) والزَّمَخْشَرِيّ (المُسْتَقْصَى في أَمْثَالِ الْعَرَبِ). كما عرّف البحث بدايةً بحركة التأليف في الأمثال العربيّة وأهمّ المُؤَلِّفين فيها قديمًا.

وفي سـبيل المقارنة بين الكتابين وقف البحث عند بعض الظواهر، فعقد المقارنة من خلالها؛ وقد بدأت هذه المقارنة بالوقوف عند تاريخ تأليف كلٍّ منهما، وقد اسـتنتج البحث أنَّ الزَّمَخْشَـرِيّ قد ألّف كتابه قبل المَيْدَانِيّ على الرَّغْم من أنّ وفاة الزَّمَخْشَـرِيّ كانت بعد وفاة المَيْدَانِيّ بعشرين عامًا.

كما وقف البحث عند جوانب أخرى تمثّلت في الحديث عن مصـادر الأمثال في كلّ كتاب؛ ولا شكّ أنّ مسألة المصادر هي مسألة موضوعيّة مهمّة في جانب التأليف والبحث العلميّ؛ وفي حين ذكر المَيْدَانِيّ أنّه عاد إلى نحو خمسين كتابًا ليستقيَ منها مادّةَ كتابِه، وقد عدّ منها اثني عشر مصدرًا؛ فإنّ الزَّمَخْشَرِيّ قد أهمل هذه المسألة في مُقدِّمته تمامًا. ولكنّنا تتبّعنا رواياته التي صرّح فيها بالنقل عن العلماء، فذكرنا أمثلة لاعتماده على عُبَيْدِ بْنِ شَرِيَّةَ وأَبي زَيْدٍ الأَنْصاريّ والمُفَضَّلِ الضَّبِّيّ والأَصْمَعَيّ وغيرهم. فأثبتنا بذلك نقله عن العلماء الذين سبقوه نافين بذلك ما الرأي القائل بخلوّه من الرواية عن العلماء ومن التصريح بالنقل عن سواه.

كما تناول البحث طريقة الكتابين في ترتيب أمثالهما؛ وقد رأينا من محاسـن الكتابين تقسـيمهما إلى أبواب مرتَّبةٍ بحسـب الحروف الهجائيّة، وفي حين يلتزم الزَّمَخْشَـرِيّ بترتيب الأمثال ألفبائيًّا أيضًـا ضـمن كلّ باب على الرَّغْم من بعض التداخلات التي أشـرنا إليها؛ فإنّ المَيْدَانِيّ لم يرتّبِ الأمثال ضمن كلّ باب. ولكنّه عمد في جانب آخر إلى ترتيب الأمثال التي على وزن (أَفْعَلُ مِنْ) والأمثال المُوَلَّدة في قسمين مستقلّين نهايةَ كلّ باب.

وقد كانت هذه هي أهمَّ الجوانب التي ارتكز عليها البحث، ولا شـكّ أنّ ثمّة جوانبَ أخرى تُمكن المقارنة من خلالها، ولكنّ المجال لا يتّسـع هاهنا لذلك، ومن أهمّ ما يُمكن المقارنة بينهما من خلاله أيضًـا هو قضـيّة الأمثال المولّدة، والأمثال التي على وزن (أفعل من)، ووضـوح العرض وتكامل الحكاية بحسب الإيجاز والتفصيل في كلّ منهما. ولعلّنا في مقالة أخرى نعرض هذه الجوانب التي تناولناها بالدراسة ومنعنا من عرضها ضيق مجال المقالة. والكتابان جديران بالعناية، سـواء أكان ذلك من خلال المقارنة أم من خلال إفراد كلّ منهما بمزيد من الدراسـات؛ فقد كانا أوسع كتب الأمثال العربيّة القديمة وأهمّها.

العلميّة في بيروت حيث نشرت الكتاب بعد ذلك نشرةً مصوّرةً بلا تغيير! وفي عام 2011م نشرت دار صادر ببيروت طبعة جديدة بتحقيق كارين صادر، ولم تخلُ من الأخطاء أيضًا، ولعلّنا نقوم بعرض ميّزات هذه الطبعات وأخطائها في مقالة قادمة.

المصادر والمراجع

ابن الأَنْبَارِيّ، أبو البَرَكَاتِ كَمالُ الدِّينِ عبد الرحمن بن محمد. (1985/1405). **نُزْهَةُ الأَلِبَّاء فِي طَبَقَاتِ الأُدَبَاء**. تح: إبراهيم السامرائيّ. الأردن-الزرقاء: مكتبة المنار.

ابن خَلِّكان، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمد بنِ أبي بكرٍ. (1968). **وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ**. تح: إحسان عبّاس. بيروت: دار صادر.

أبو زيد، علي. (2002/1423). **قِرَاءَةٌ فِي مَنْهَجِ مَجْمَعِ الأَمْثَالِ لِلْمَيْدَانِيِّ وَالمُكَرَّرِ فِيْهِ**. مجلّة التراث العربيّ الصادرة عن اتّحاد الكُتّاب العرب. دمشق. ع 86-87: 278-290.

ابن سَلَّام، أبو عُبَيْدٍ القاسم. (1980/1400). **كِتَابُ الأَمْثَالِ**. تح: عبد المجيد قطامش. دمشق-بيروت: دار المأمون للتراث.

القِفْطيّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. (1986/1406). **إِنْبَاهُ الرُّوَاة على أَنْبَاهِ النُّحَاة**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربيّ وبيروت: دار الكتب الثقافيّة.

البَكْرِيّ، أبو عُبَيْدٍ. (1971/1391). **فَصْلُ المَقَال فِي شَرْحِ كِتَابِ الأَمْثَال**. تح: إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين. بيروت: دار الأمانة ومؤسسة الرسالة.

التَّكْرِيْتِيّ، عبد الرحمن. (1974/1394). **مَصَادِرُ المَيْدَانِيّ في كِتَابِهِ "مَجْمَع الأَمْثَال"**. مجلّة المَوْرِد. بغداد-وزارة الإعلام. 3 (2): 11-32.

------. (1974/1394). **مَصَادِرُ المَيْدَانِيّ في كِتَابِهِ "مَجْمَع الأَمْثَال"**. مجلّة المَوْرِد. بغداد-وزارة الإعلام. 3 (3): 99-122.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(كاتب جلبي). (د.ت). **كَشْفُ الظُّنُوْن عَنْ أَسَامِي الكُتُبِ وَالفُنُوْن**. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.

الحَمَويّ، ياقوت. (1993). **مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ**. تح: إحسان عبّاس. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.

خليل، سمير كاظم. (1983/1403). **مَجْمَعُ الأَمْثَالِ، دِرَاسَةٌ فِي مَنْهَجِهِ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَمْثَالِهِ**، مجلّة المَوْرِد. بغداد-وزارة الإعلام. 12 (3): 161-178.

الذَّهَبِيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (2003/1424). **تَارِيْخُ الإِسْلَام وَوَفَيَاتُ المَشَاهِيْرِ وَالأَعْلام**. تح: بشار عوّاد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.

زلهايم، رودلف. (1971/1391). **الأَمْثَالُ العَرَبِيَّةُ القَدِيْمَةُ**. ترجمة: رمضان عبد التّواب. بيروت: دار الأمانة ومؤسّسة الرسالة.

الزَّمَخْشَرِيّ، أبو القاسمِ جَارُ اللهِ محمود بن عُمرَ الخُوارَزْمِيّ. (1962/1381). **المُسْتَقْصَى فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ**. طُبِع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد الدَّكَن-الهند: دائرة المعارف العثمانيّة.

السَّمْعَانِيُّ، أَبُو سَعْدٍ عبدُ الكريمِ بن محمد. (1960/1395). **التَّحْبِيْرُ فِي المُعْجَمِ الكَبِيْرِ**. تح: منيرة ناجي سالم. بغداد: ديوان الأوقاف.

السُّـــيُوطِيّ، جلال الدين عبد الرحمن. (1964/1384). **بُغْيَةُ الوُعَاةِ فِيْ طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّيْنَ وَالنُّحَاةِ**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الضَّـبِّيّ، المُفَضَّـلُ بنُ مُحمّدٍ. (1983/1403). **أَمْثَالُ العَرَبِ**. قدّم له وعلّق عليه: إحسـان عبّاس. بيروت: دار الرائد العربيّ.

الطَّنَاحِيّ، محمود مُحمّد. (1984/1405). **مَدْخَلٌ إِلَى تَارِيْخِ نَشْـرِ التُّرَاثِ العَرَبِيّ**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

------. (2002/1422). **مَقَـالاتُ العَلَّامَـةِ الدُّكتورِ محمودِ مُحمّدِ الطَّنَـاحِيّ**. بيروت: دار البشائر الإسلاميّة.

العَسـكريّ، أبو هلالٍ. (1988/1408). **جَمْهَرَةُ الأَمْثَال**. تح: محمد أبو الفضـل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. بيروت: دار الجيل ودار الفكر.

فاخُوريّ، محمود. (1998/1419). **مَصَـادِرُ التُّرَاثِ وَالبَحْثِ فِي المَكْتَبَةِ العَرَبِيّةِ**. حلب: منشورات جامعة حلب.

قطامش، عبد المجيد. (1988/1408). **الأَمْثَالُ العَرَبِيَّةُ، دِرَاسَـةٌ تَارِيْخِيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ**. دمشـق: دار الفكر، دمشق.

المَيْدَانِيُّ، أَبُو الفَضْـلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحمّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّيْسَـابُوْرِيُّ. (1955/1374). **مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ**. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السُّنّة المحمّديّة.